

لا أعصي لك حزناً



نديب كئالي
لا أعصي لك حزناً
(مجموعة قصصية)
شرفات للنشر والدراسات
الطبعة الأولى، تركيا، 2020

عدد الصفحات: 152
قياس 21.5 x 13.5

ISBN : 978-625-44458-1-1
رقم تسلسل الطبعة : 104

عنوان الدار: YALIM MAH. 706. 13 MART CAD. SOK
NO: 3. ARTUKLU/ MARDIN
البريد الإلكتروني: Shurufat@yahoo.com
فيسبوك: شرفات للنشر والدراسات

BASKI MERKEZI

uzun  dijital
MATBAA

UZUN DİJİTAL MATBAA, SONÇAĞ YAYINCILIK MATBAACILIK TESCİLLİ MARKASIDIR.
İstanbul Cad. İstanbul Çarşısı No.: 48/48 İskitler 06070 ANKARA
T / (312) 341 36 67
www.uzundijital.com - uzun@uzundijital.com

جميع الحقوق محفوظة؛ لا يُسمح بنسخ الكتاب أو إعادة إنتاجه أو نقله أو ترجمته
دون إذن مسبق من الناشر

نجيب كيالي

لا أعصي لك حزناً

قصص قصيرة

المحتوى		
الرقم	القصة	الصفحة
1	جارتي	9
2	تأملاتٌ في حياة حمار	13
3	عاشق	19
4	حيوانٌ مخيف	21
5	خرسٌ مفاجئ	23
6	ساعدوني على أن أكون شاعراً	25
7	جثٌّ وحمائمٌ حزين	35
8	حكايةُ الدبس وبساطُ الذباب الطائر	37

49	المزمار العملاق	9
51	قلمٌ أحمر	10
53	العريضةُ المستديرة	11
61	حفلةٌ تعذيب	12
63	كرشٌ وحضارة	13
65	مقبرةٌ على الخط	14
73	الخاطبةُ الخضراء	15
77	الشیطان متقاعدًا	16
81	وطن، وكلام لا يمرّ	17
82	مشهد عادي	18

83	قَبْلَ الخَوْزِقَةِ	19
85	رَأْسُ القِطِّ المَقْطُوعِ	20
87	أنا وشارع النَّومِ الطويلِ	21
93	الحنك الذي خَرَجَ من مكانه	22
99	مسابقةُ المذيعين	23
101	المعلمُ بالمعلمِ	24
103	لا أعصي لك حزنًا	25
111	طيرانُ الليرةِ	26
113	دكانُ الأتقنةِ	27
115	أنا والمهرجانِ	28

117	رائحةُ الجنان	
119	كرش تدافع عن نفسها	29
125	زعامة لمدة دقائق	30
129	رجلٌ يهرب من مناسبة سعيدة	31
135	الانسكابات الشاعرية لرزق مرزوق	32
143	المؤلف	33
149	قائمة الكتب	34

جارتى

هى شجرة لوز نابتة فى حوض الجيران القرب
من نافذتى. بدأت صحبتنا بعبارة: صباح الخير، قالتها
الشجرة لى بزهرها الجميل ذات نهار.

أحبُّ كثيراً أن تقترب الأشياء الحلوة منى: فتاة
ناعمة، لوحه فنية، كلمة طيبة، ولأننى وحيد- زوجتى
التي كانت تشاركنى قهوة الصباح ماتت منذ أشهر-
صرتُ آتى بفنجان القهوة، وأشربه على كرسي أمام
النافذة، وحين أنتهى أسمعها تقول لى بطريقتها:
صحة وعافية.

بعد ذلك ارتحتُ للشجرة كثيراً، فصرتُ
أسميها: شجرتى، وحدث فى صباحٍ عاطرٍ أمرٌ لطيف:
وقفتُ أمامها فى ذلك اليوم متمتماً: لا أدري
ما أقول يا غالىتى الخضراء! بعد صحبتنا أريد أن

أحكى لك قصتي، لكنني مشفقٌ عليك من مفاصلها
الموجعة، فثمة أجزاءٌ فيها تُحرق القلب، وأجزاءٌ
أخرى تلوي ظهرَ الجبل، وأنتِ شجرةٌ طريةٌ ورقك
ناعمٌ.. ناعم كرمش العيون!

فوجئتُ بالشجرة ترتعش، وبكآبة تعلوها، ثمَّ
قالت: لا تحك شيئاً يا رجل أعرف قصتك، أعرفها
كلّها، أنتَ سوري نازح، مَنْ لا قلوبَ لهم دفعوك،
ودفعوا الملايين للهجرة، ثم سردت الشجرة كلَّ شيءٍ
حلَّ بي بأصغر تفصيلاته!

سألتها مذهولاً: كيف عرفتِ؟!

همست بلطف: نحن الأشجار نعرف قصصَ
الناس من تنهداتهم، هم يطلقونها في الجو، ونحن
نستنشقها. كلُّ تنهيدة فيها حكاية!

أخذتني موجةٌ زهول، ثمَّ تأمَّل، ثم سمعتُ
خضرائي تهمس:

- الآن جاء دوري لأعرِّفكَ بنفسي، سأحكى
لك ما لا تعرفه عني، وعن بنات جنسي!

قلتُ: تفضلي. ما أحلى حكاياتِ الشَّجَر!

- هل تُصدِّق يا عزيزي أنَّ الأشجار كانت
قديمًا راقصات؟ نعم كنَّ راقصات، فزاد السرور
كثيراً في الدنيا، انزعج واحدٌ من آلهة الأساطير القديمة
من تلك الحالة، أراد أن يتفرَّغَ الناسُ لعبادته،
وهكذا.. استعمل مشيئته، فغرس أرجلنا في الأرض!
لكننا نَحْنُ لوضعنا القديم، فنرقص مع هبوب الريح.
مددتُ أصابعي نحو الشجرة كأنني أمدها لخدِّ
حبيبة، فسمعتها تقول:

- أيها الرجل السبعيني سأرقص لك كل يوم
لتصدق أن الأشجار نساء.

*

2020 / 4 / 29

تأملاتٌ في حياة حمار

لحمارنا حكايةٌ غريبة تجعلني الآن بعد أن
كبرتُ أتذكّره، وأقول: إيه يا حمار. كنتَ حماراً من
الخارج فقط، مثلما أن بعض الناس بشر من حيث
قشرتهم الخارجية الظاهرة لا غير. أمّا محتواهم
فبعضهم في داخله ذئب! وبعضهم في داخله ثعلب أو
فأر أو أمٌّ أربعٍ وأربعين! وفي بعضهم الآخر كائناتٌ
عجيبة لا اسم لها حتى في معجم التصنيف الحيواني!

أتذكّر يا صديقي، وأنا فخورٌ بأن أناديك بذلك
أنك كنتَ حماراً مختلفاً أو لنقل: صاحب مزاجٍ
خاص!

لا أعني أنك كنتَ يومئذ معجباً بنفسك تحبُّ
أن تتمرّى على صفحة الماء لتطمئن على نضارة
بشرتك، وطولِ أذنيك، ولا أعني أنك كنتَ تحبُّ

الرّواق، فتطالبنا بأن نغنيّ لك الميجنا والعتابا مادمننا
راكبين على ظهرك، ولستُ أعني أيضاً أنك تزعل إذا
لم نُفصّل لك على العيد بردعةً جميلة تليقُ بحضرتك
لتفرح، وتُعيّد مثل جميع الناس. لا.. لا كنتَ حماراً
طيّباً متواضعاً لم تتطلع يوماً إلى الأبهة التي يظهر بها
أبناء الأكاير أو حمير الأغوات حيث لكل منهم على
ظهره كساءً، له شر اشيب يختال به كمارلين مونرو في
عزها! كلُّ ما في الأمر أنك كنتَ تقوم بتصرفٍ غريب
من أمثالك خلال العمل! وسأحكي الآن كيف كان
يجري ذلك:

حوالي السادسة صباحاً كان أبي يخرجك من

الإسطبل قائلاً:

- يا فتّاح.. يا عليم.

وبهمةٍ عالية كنتَ تنطلقُ به إلى الحقل، وقد أكون
أنا معه أو أنا وأمي أيضاً، نراك حينئذٍ حريصاً على
الوقتِ كتلميذٍ مجتهدٍ يخجل أن يصلَ إلى مدرسته
متأخراً أو كموظفٍ متفانٍ يخدم الدولة بإخلاص،
وكأنه يخدم نفسه وعياله!

كذلك في حقلنا - والشهادةُ لله - كنتَ تقومُ بكلِّ
ما يُطلَبُ منك: تفلح الأرض، تنقل الماء، تجرُّ العربة،
لكنك ما تكاد ترى الشمسَ تميلُ عن محورها في
سماءِ بلدنا إدلب، والساعة تقترب من الثانية حتى
تنصَّبَ أذنيك في الهواء، وتغرسَ رجلك في الأرض،
فلا تتقدمُ شعرة، ولا تتأخر شعرة حتى يفكَّ أبي عن
رقبتك عُدَّةَ الفلاحة!

حالك كان عجبياً أذهلَ أبي، فحاول أولاً أن
يعالجكَ باللطف والمحبة، فكنتُ أراه يقفُ أمامك،
ويقول لك:

((كَمَلْ شغلك يا أفندي.. يا محترم إكراماً لذقني،
إكراماً للطيبين، احتراماً لجذك آدم الحمير)).

((عيب يا ابن الكرام. أما عندك ذوق؟ هل نسيت
ما أطعمتُك قبل قليل من قشور الجبس والبطيخ؟!))
لكنك لم تكن تتزحزح.. حتى العصا أم العُقد

عجزتُ عن تليين دماغك!

وحين حكى أبي حكايتك لجارنا عبد الرافع
الموظف في البلدية فقع يومئذ ضحكةً من العيار
الثقيل، قال لأبي:

- الله أكبر. الظاهر أن حماركم يُطبَّق القوانين
الحديثة يا حاج. الشغل عنده ثماني ساعات فقط. قل
لي بالله عليك ألا يطلب إجازةً صحيةً أيضاً؟!

من ناحية ثانية لم يكن أبي يتجرأ على
المغامرة ببيعك، لأنك كنتَ تنجز في ساعاتك الثماني

ما لا ينجزه حمار آخر في عشر ساعات أو أكثر، لكنه
كان يطمع في استثمارك أكثر.

الأغرب أنَّ حكايتك لم تنته عند هذا الحد،
بل صار لها ذيول، وذيول! فذاتَ يوم ثارت أمي في
وجه أبي، وصاحت:

- إلى متى أخدم وحدي أسرتك الكبيرة ليلَ نهار؟
ارحمني يا بن الحلال.. اعتبرني كحمارك.

وفي الفرن رفع عبود صوته على صاحب العمل:

- زد لي أجرتي يا معلم. حمار بيت (أبو علي) لا
يشتغل أكثرَ من ثماني ساعات!

ضرب أبي يداً بيداً آنئذ، وقال لك:

- أعوذ بالله منك خربت بيوت الناس، قومت
ثورة وأنت حمار! كيف لو كنت من الأوادم؟!!

غير أنك رغم توقفك عن العمل عند الظهيرة
لم تكن تمنع في اصطحابنا نحن الأولاد الصغار إلى
نزهة عند العصر! وكأنك إكراماً لطفولتنا تعاملنا
معاملة خاصة! أو ترى أن العمل شيء، والنزهة شيء
آخر!

كنت تلميذاً وقتئذٍ في المرحلة الإعدادية، أركبك،
فتنطلق بي فرحاً مستبشراً، تحاول إضحائي، فتارةً
تتحرك في خطأ متعرج! تارةً تقفز بمرح كأنك حصان!
تارةً، تقترب من شجر الزيتون الذي يكسو بلدنا..
تقترب جداً، فيلمس الورق الأخضر وجهي! فأبتسم،
وأورجح ساقَي من الجانبين، وأقول: الله، وأنا أكاد
أطير!

*

عاشق

مَرِضُ العَاشِقُ فِجَاءً! ذَبَلْ شِبابه كوردةٍ
انقصَ عودها!

قالت الأديوية: أنا عاجزةٌ عن شفائه، قالت
الأغطية: أنا عاجزةٌ عن تدفئته!

غمغمَ طالباً من أهله كأساً من البابونج،
ففققه الموتُ الواقفُ خلفَ البابِ قائلاً:
- اشربْ ما تشاء. هل تظنُّ البابونجَ يمنعني
من الوصولِ إليك؟!

عند العصر، وبعد فراقٍ طويلٍ جاءت ناريمان
غزالتُه اللطيفة النافرة لزيارته. تركوهما معاً،
وخرجوا، همستْ شفتاها:
- لطفي (ثم) لطفي حبيبي.

فَتَحَّ عَيْنِيهِ، نَهَضَ بَعْدَ هُنَيْهَتَيْنِ، سَقَّتُهُ كَأَسَّ
بَابُونَجٍ مَغْلِيًّا فِي قَلْبِهَا، فَرَدَّتْ شَعْرَهَا، فَوَجَدَ نَفْسَهُ
تَحْتَ سَمَاءٍ كَسْتَنَائِيَّةٍ لَا مَتْنَاهِيَةَ! رَمَشَتْ بِجَفْنِيهَا،
فَهَرَهَرَتْ مِنْ رَمُوشِهَا نَجُومٌ صَغِيرَةٌ كَحَبَّاتِ الدَّوَاءِ
شَحْنَتْ جِسْمَهُ الْوَاهِنَ بَغْدَاءٍ مِنْ ضَوْءٍ!

حِينَمَا فَتَحَ الْبَابَ وَهِيَ بِجَانِبِهِ كَانَ الْمَوْتُ قَدْ
غَادَرَ الْمَكَانَ بِخَطَوَاتٍ وَاسِعَةٍ تَارِكًا خَلْفَهُ خَيْطًا
طَوِيلًا مِنْ لَهَاثٍ!

*

حيوانٌ غريبٌ

ظهرَ في مدينةٍ عربيةٍ كائنٌ غريبٌ مخيفٌ!

احترأ فيه كلُّ من رآه!

حيوانٌ؟ ربما.

أسوأُ من الحيوانِ؟ ربما.

الكائن له عشراتُ الأرجلِ المزوّدة
بالمخالب! وله عينٌ مربعةٌ في جبينه، وعينان
مستطيلتان في صدره! حين يصرخ يتطاير كلُّ شيءٍ
أمامه كورق الشجر! أمّا بشرتهُ فخشنةٌ جداً!

تساءل أولو الأمر: من أين جاء؟! اشتكوا منه
طويلاً، لكنهم - لضعف ملاحظتهم - لم ينتبهوا إلى
أنه جوعٌ أحد الصعاليك، خرج من بطنه حين جاع
ألفَ عام، ولم يجد رغيفَ خبز!

خَرْسٌ مفاجئ

صاحَ بنا عبد الصمد بعد أن ضرب بقبضته
على المنضدة ضربتين، وفوق جبينه عقدةٌ بطول
شبرين:

- التصوير حرام، احذروا منه.. احذروا.

انحولت عيوننا، قال أحدنا:

- معقول؟! ولماذا يكون حراماً يا شيخ؟! ألا
تنفعنا الصور في حفظ وجوه الأصدقاء، وصنع
البطاقات الشخصية، وتوضيح الأخبار الواردة في
الصحف؟ ثمَّ قل لي يا عبد الصمد إذا ضعت كيف
نعثر عليك من دون صورة نشرها لك في وسائل
الإعلام؟!!

زمجرَ عبد الصمد:

- أَرْضَى أَنْ أَضِيعَ فِي الدُّنْيَا أَفْضَلَ مِنْ أَنْ
أَضِيعَ فِي الْآخِرَةِ. التَّصْوِيرُ حَرَامٌ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ عِنْدَمَا
يَسْتَعْمَلُهُ يَتَشَبَّهُ بِالْخَالِقِ!

كُنَّا يَوْمَئِذٍ نَعْمَلُ مَدْرَسِينَ فِي دَوْلَةِ خَلِيجِيَّةِ،
سَحَبْنَا عَبْدَ الصَّمَدِ مِنْ يَدِهِ، أَوْقَفْنَاهُ أَمَامَ صُورَةِ لِأَمِيرِ
الْبِلَادِ.. أَمِيرِهَا الْأَكْبَرِ، وَسَأَلْنَاهُ:

- وَهَلْ هَذِهِ حَرَامٌ أَيْضًا؟!

سَمِعْنَا عِنْدئِذٍ طَرِطَرَةً تَعْلُو فِي بَطْنِهِ! أَمَّا لِسَانُهُ
فَذَابَ كَحَلْزُونٍ عَاجَلْتَهُ بِالْمَلْحِ!

*

ساعدوني على أن أكون شاعراً

هي صرخةٌ لا يقولها وصيف بلسانه، لكنَّ كلَّ

ما فيه يقولها بطريقةٍ غير مباشرة!

عيناه تهتفان: أريد أن أكون شاعراً!

قلبه من خلف ضلوعه يهتف بذلك!

حركات أصابعه تهمس أيضاً بهذه الرغبة وهي

تمسك بحنو دواوين الشعراء التي يقرأها!

هو شاب رقيق له قلبٌ عصفور، وجناحُ

فراشة، بدأت علاقته بالشعر من خلال بعض القصائد

المدرسية التي أحبها لكل من المعري وأبي ريشة

وغيرهما، فأخذ يقرأ، والشعر بين أنٍ وآخر يُعدُّ له

مفاجآت حلوة، ففي سن المراهقة بهرته قصيدة لنزار

قباني يحكي فيها عن علاقته بمايا:

(مايا تقول بأنها لم تبلغ العشرينَ بعدُ، وأنها ما
قاربت أحداً سوايا/ وأنا أصدِّقُ كلَّ ما قال
النبيد، وكلَّ ما قالته مايا/ مايا لها نهدان
شيطانان همُّهما مخالفةُ الوصايا)

بعد المراهقة أخذت بلبه قصيدةٌ لإيليا أبي
ماضي تغلي بالأسئلة وسرّحاتِ التأمل، عنوانها:
الطلاسم:

(أجديدٌ أم قديمٌ أنا في هذا الوجود؟)

هل أنا حرٌّ طليقٌ أم أسيرٌ في قيود؟

هل أنا قائدٌ نفسي في حياتي أم مقودٌ؟

أتمنى أنني أدري، ولكن

لستُ أدري)

أحضرَ وصيفَ ذاتِ ضحى ورقةً وقلمًا،

وحاول أن يكتبَ بضعةَ أبيات من الشعرِ يواسي فيها

أمه المريضة، لكنَّ الشعرَ كَجَدِّي شَقِيٍّ نَفَرَ مِنْهُ،
فلاحقه قرابةً ساعتين بين تعرجاتِ الكلمات
وصخورها، فأتعبه الجَدِّيُّ، ولم يتمكن من الإمساك
به!

حاول الكتابةً مرَّةً أخرى حين أحب امرأة.
الفتاةُ التي مال لها قلبه كانت مغزولةً على نَوَلِ الوردِ
والياسمين، وخطاها مشاتلُ نجوم، لكنَّ جَدِّيَّ الشَّعرِ
الشَّقِيَّ فَرَّ مِنْهُ أَيْضاً خَلْفَ تعرجاتِ الكلمات،
وضباها فلم يتمكن من القبض عليه! مَزَّقَ الورقةَ في
ذلك اليوم وقذف القلمَ إلى ظهر الخزانة! وصاح: أيها
الشَّعرُ أنتَ لئيمٌ بخيل، بل أنتَ سيد البخلاء. لو كنتَ
أمامي لكسرتُ عظمةَ أنفك بلكمةٍ قاسية.

محاولةٌ ثالثةٌ كانت له حين قامت ثورةٌ في وطنه
انحرفت عن مسارها، فانقلبتُ إلى حرب طاحنة!

أراد أن يصفَ أكوامَ الوجع في قلوب الناس،
والجراحَ الغائرة في صدر الوطن، لكنَّ محاولتهُ هذه
كسابقتيها لم تعثر على نجاح!

وهكذا.. تكررت محاولاتٌ وصيف مراتٍ
ومرات، وكانت تنتهي دائماً بالإخفاق، وبعد
الإخفاق شريط سباب تعلقو حدتهُ يوماً بعد يوم!

ومرةً حدث أمرٌ عجيب: ارتفع السبابُ كثيراً
في الجو، نبتت له أجنحة، طار بها، فبلغ وادي عبقر
قرب مكة حيث يسكن شياطينُ الشُّعر!

اهتزت آذانُ الشياطين، واتسعت عيونهم
الشاقولية، تساءلوا:

- مَنْ يسبُّ الشُّعر؟! مَنْ يسبُّنا؟

اندفع أحدهم قائلاً:

- سأُتبع مصدرَ الصوت لأصلَ إلى ذلك
التافه، وحين أصل إليه سأعضه من لسانه.

قبل المدينة السورية التي يسكنها وصيف
بمسافة كيلومتراتٍ معدودة كان هناك قتالٌ عنيف!
حتى الجوّ برحابته كانت تسدُّه طلقاتُ الرشاشات
والأسلحةِ المتنوعة! تمكن الشيطان من العبور، لكنَّ
رصاصه أصابت كتفه، وجعلته ينزف!

حين بلغ الشيطان بيتَ وصيف تجلّى له في
صورة آدمية، فاستقبله الشاب بكرم، ضمّد له جرحه،
وغمّره بالعطف، واستضافه في بيته ريثما يشفى.

في عصر ذلك اليوم أمسك الشيطانُ ديواناً كان
على طاولة وصيف، وسأله بخبث:

- أنتَ تكره الشّعْر. أليس كذلك؟

ارتجف الشاب كأنك شتمت إلهًا له! تساءل
من أعماق حلقة:

- أنا؟!!

ثمَّ أضاف: وهل يمكنُ لصاحب عقل وروح
أن يعادي الشُّعر؟ إنه نعيمٌ داخلي لا تجد شبيهًا له إلا
عند المتصوفة. اسمح لي يا صديقي أن أقول أيضًا:
إنَّ للشعر بطنًا ولودًا، كلُّ الفنون جاءت منه:
الحكاية، الأغنية، وحتى الرسمُ والمسرح، فكلُّ فن
يبدأ بشعور ما.

بلع ريقه، وأكمل بحماسة متنامية: وإذا أردنا
العبورَ من قشرة الحياة إلى أعماقها الزاخرة فمن
خلال الشُّعر وحدَه نفعل ذلك، وإذا أردنا الطيرانَ في
السماء من دون أجنحة، فالشعر وسيلتنا الوحيدة لهذه
الغاية، و...

هنا قاطعه الشيطان بخبث متزايد:

- لماذا تسبُّ الشعرَ إذن.. لماذا تسبُّه يا سيد؟! إنني متأكد من أنك تفعل ذلك، ولن أقول لك الآن كيف علمتُ بالأمر!

أمسكٌ وصيفٌ رأسُهُ بين راحتيه من هول الصدمة التي أحدثتها له المفاجأة، ثم تمتم وصوته قادمٌ من أعماق وادي الحزن المفتوح بين ضلوعه:

- هل تصدِّق؟ أسبُّه أحياناً من شدة حبي له؟!
علَّق الشيطان ضاحكاً:

- يا عيني! حب وسباب! كيف يلتقيان؟!

صنَع وصيف كآسين من الشاي، وروى للشيطان حكايته مع الشعر من أولها لآخرها، وأوضح له كيف أنه مع كثرة قراءاته للأشعار وحبها يعجز

عن كتابة بيت أو بيتين! لهذا يشتعل البارود في صدره،
فيشتم حبيبه أحياناً!

قال الشيطان مستعيناً بجرعة أخرى من خبثه:

- أنا مثلك، لي هوايةٌ بالقصائد، وقد قرأتُ
آلافاً منها، كما قرأتُ كثيراً مما كتبه الشعراء عن
علاقتهم بالشُّعر نفسه، باختصار يا صاحبي: إذا كنتَ
مرهفًا، وقارئًا، فلا يكفي ذلك لتصبح شاعرًا، لا
يكفي أبدًا. الشُّعر له سرٌّ عصيٌّ كالنبوة! كهطول المطر
في الصيف! كخروج زهرة باهرة من خاصرة صخرة!
وأغربُ الغريب أنَّ بعضَ الشعراء ذو طبعٍ غليظٍ أو
هكذا قيل عنه، لكنه كتبَ الشُّعر! غيرَ أنني - مع ما
سبق - أحمل إليك بشارة!

- ما هي (سأله وصيف)

- قبل أن أقول لك ماهي؟ أرجوك اجلس على طاولتك، واكتب لي بأسلوب جميل ذلك الكلام الرائع الذي وصفت به الشعرَ قبل قليل.

حين انتهى الشاب من الكتابة قرأ الشيطانُ سطورَهُ، فصَفَّقَ قائلاً:

- مرحى يا صديقي. عجزتَ عن أن تكون شاعراً، لكنَّ لديك استعداداً واضحاً لتكون بلبلًا يُبشِّرُ بالشعر، ويتحدث عن عظمته، وهذه هي بشارتي.

وأضاف الشيطان:

- الشعر حبيبيك بحاجة لمن يدافع عنه في هذه الأيام، فمنابعه في عصرنا مهددة، وأعداؤه كثيرون، هل تعرف أن وادي عبقر - كما سمعتُ - لم يعد كما كان؟ وهو محاصرٌ بالمرارة، وربما يُباع للأغراب

ببساطة ضمن إحدى صفقات البيع المتواصلة ليل
نهار!

ظهرت على وجه الشاب علامةً رضى بأنه
قادرٌ على أن يكون بلبلاً يُبشّر برسالة الشعر
والجمال، ويسهمُ في حمايتها من الانقراض.

في تلك اللحظات اقترب القصف كثيراً من
المدينة، اخترقتها المعارك! سقط صاروخ على بيت
الشاب، فتناثر الحجر والغبار، تناثرت الأحلام! وفي
برزخٍ بين الموت والحياة كان الشيطان يبحث عن
وصيف، ووصيفٌ يبحث عنه، وقصيدةٌ دامعة تبحث
عنهما!

*

2020 / 5 / 9

جثُّ، وحمائمٌ حزين

بعد القصف امتلاً صدر الحي بالجثث!

جثَّةٌ دراجةٌ نارية طارت من مكانها، وسقطت

عند مدخل الحي!

جثَّةٌ عربيةٌ لبائع خضار متجوِّول، تناثر هو

والخضار من حولها!

جثَّةٌ شمسيَّةٌ لدكان، كان من عادة أطفال

المدرسة العائدين إلى بيوتهم أن يقفوا تحتها عند

سقوط المطر!

جثَّةٌ لمئذنةٍ جامع تسيل من أطرافها روائح

الصحابة!

جثَّةٌ طائرةٌ ورقية تبحت عن أصابع الطفل

الذي كان يلعب بها قبل قليل!

جثَّةٌ دميةٍ التصقت بها قطراتٌ من دم الطفلة

التي كانت قبل لحظات في حضنها!

ثلاثُ جثثٍ لطناجرَ في مطبخ، لن تمتدَّ إليها
بعد اليوم يدُ سيدة البيت، لأنَّ السيدة قُتلتْ بشظيةٍ
بترت رقبتهَا!

ثلاثٌ وعشرون جثةً اختفت كلها تحت بناءٍ
مؤلفٍ من خمسة طوابق، سقط بالكامل مثبتاً عظمةَ
الصاروخ الذي وصل إليه!

مرَّ سربُ حمام خائف يبحث عن السطح
الذي انطلق منه قبل دقائق، لكنَّ السطح سقط أيضاً،
واختفى الشاب صاحب الحمام الذي كان يلهو مع
طيوره!

هنا إدلب (همست الشمس)، تأرجح قرصها،
وكاد يهوي على الأرض كدمعةٍ كبيرة!

*

2020 / 5 / 11

حكاية الدُّبْس، وبساطُ الدُّبابِ الطَّائر

كان ياما كان في قديم الزمان. الأيامُ دولاب،
يدور.. يدور لا يسأل عن أحدٍ، كأنه مخمور! دورانه
يكون حيناً إلى أمام، حيناً إلى وراء. كانت بلدةٌ مُعترَّة
فقيرة، أُجذبَ فيها كلُّ شيءٍ، ولم يبقَ إلا قليلٌ من
الكروم! اجتمعَ الوالي في مجلس البلدة بأصحابه،
ومعهم أحدُ كُتَّابه. الكاتبُ يُسجِّل ما يأمرونه به. قرَّرَ
هؤلاءِ العنايةَ بالسقاية، وتحسينَ أحوالِ الزراعة،
فابتهجَ الناس بالأخبار، ورقصت قلوبُهم في ذلك
النهار، وقفَ رجلٌ أمامَ جرَّةِ دبسه، وراح يناجيها كأنه
في يوم عرسه:

- لا تغاري.. غداً سيكون إلى جواركِ جِرار،
فيها دبس، وسمنة، وزيت. غداً سنسمعُ موسيقا غيرَ
قرقرة البطون!

فجأةً سمعَ الرجلُ طَرْقًا على الباب، ودقَّ
بساطير! فتحَ البابَ وهو يلهث، فرأى عقدةً
(التحصلدار)⁽¹⁾ فوقَ جبينه تنذرُ بالشر! قال
التحصلدار:

- جئنا لنأخذَ حقَّ مولانا السلطان: ربعَ ليرةٍ
ذهبية، لا زيادة ولا نقصان.

شهقَ الرجلُ من أين يدفع الضريبة، وجيوبه
مقفرة، وحياتُه مصيبة؟! فركَ يديه قائلاً:

- حقُّ مولانا السلطان على العين والرأس،
ولكن...

قاطعهُ التحصلدار ساخرًا:

(1) التحصلدار: جابي الضريبة.

- ستقول لي كما يقول جميع من نطرقُ

أبوآبهم: ما معك (برغوث)⁽¹⁾ واحدا حسرة!

- فعلاً يا سيدنا...

هنا سعل جنابُ التحصلدار سعلةً خاصة، هي
طريقته في إعطاء الأمر إلى رجاله! قبضوا على
صاحب الدار، رموه إلى الحارة كقطعة حطب!
وهرولوا أمام التحصلدار ووراءه إلى ساحة الدار.
سعل جنابه سعلةً ثانية، فهِمُوا منها أمراً بتفتيش البيت!
لم يَطُلِ التفتيش. بعدَ قليل جمعوا عند قدمه أشياء
تافهة: فراشاً متسخاً رقيقاً كالبساط، أغطيةً مرقعة،
ثياباً قديمة، وجرّةً عليها غطاء. سألهم:

- ما هذه؟

- جرّة دبس يا سيدنا.

(1) برغوث: قطعة نقدية صغيرة تعود إلى العهد العثماني.

- دبس! ويقولون: ما عندنا شيء! الدبس من العنب، والعنب من الكرّم، ومنّ عنده كرم يستطيع أن يدفع. آخ منكم يا أباليس!

أخذت كلمة: (دبس) تطنُّ في رأسه كذباً زرقاء! ثمّ استقرّت الذبابة، وراثت، كان روثها فكرة تعذيب جديدة، جعلت العقدة فوق حاجبيه تنفكُّ لأول مرة. قال للرجال:

- هاتوا الجرّة.

أمرهم بجمع أهل الحارة، وربط صاحب الدار إلى عمود بعد تعريته من ثيابه باستثناء قطعة صغيرة تكاد لا تستر عورته من أمام وخلف، ثمّ قال:

- ادهنوه بالدبس، وضعوه في شمس تموز

لنرى سيدفع أم لا؟

سأترك لخيالكم يا سادة أن تتصوّروا حالة
الرجلِ المغطّسِ بالدبس، المشويِّ بالشمس! المهم
استنكرَ الناسُ بعيونهم، وتمنّوا لو يمرُّ شيخُ الحارة،
فربما يتشفّعُ للمسكين، أو يعترض على تعذيب العباد
بيد الأوغاد. جاء شيخُ الحارة مرفوعَ الشاربين،
خنجرُهُ في زناره، نظرًا، ضحكًا! وصافحَ التحصلدار
بحماسة إعجابًا بطريقة التعذيب المبتكرة! ونوى أن
يرسلَ عكوشًا إليه تقديرًا لذكائه! من يومها راح
يستعملها هو الآخر مع المذنبين!

مرةً تلمّظت شفتا الشيخ لا على طعامٍ
وشراب، بل على امرأةٍ جميلة لمَحّها.. إوزة بيضاء
تؤكّل بكلّ ما فيها! عرفَ - بعد السؤال - أنها زوجة
إبراهيم السقاء. آخ يا إبراهيم هذه لك! طلبَ من
إبراهيم أن يرسلها للمعاونة في شؤون الدار الكبيرة

عنده، وفي نفسه أن يتدبَّر أمره معها حين تصير هناك،
لكنَّ إبراهيم أفسد خطَّته، فقد أجابهُ:

- يا سيدنا.. الله يطوِّل عمرك، ومَنْ يرعى
الأولاد إذا ذهبَتْ، ويطبخ للسَّقاء لقمةً على العشاء؟!

سحبَ شيخُ الحارة سحبةً عميقةً من
نارجيلته، وما مضت أيام حتى اتَّهم السَّقاء بسرقة
دجاجاته من القن. قال لأزلامه:

- ادهنوا هذا الحرامي بالدبس لتخرج
الدجاجاتُ من تحت أظافره.

وكي لا يكونَ مجردَ مقلِّدٍ للتحصلدار في
طريقته صاح بالآزلام:

- اربطوا يدهُ اليمنى التي سرقَ بها إلى فوق..
شدُّوا عليها حتى تقعَ كصرماية عتيقة.

جلس يراقب، ويشرب النارجيلة، تمنى الناس
لو يأتي رئيس مخفر الجندرمة، فهو ذو قلب طيب
نسيباً، وربما يفعل شيئاً. جاء الرئيس، عرفوه من
بعيد من كرشه التي تسبقه كعربة ثقيلة! عبس أول
الأمر حتى ظنوه سيعترض، لكنه انفجر ضاحكاً لما
رأى ذبابةً في أعلى فخذ السقاء تنزلُ تحت القماشة
التي تغطي عورته، وتخرج من الطرف الآخر، قال:

- عليّ الطلاق هذه ذبابة مُومس!

هنأ شيخ الحارة على ذكائه، وقرّر أن يرسل
إليه كرباجاً ذا شناسيل، وراح من ذلك اليوم يستعمل
هذه الطريقة مع المذنبين!

أثبت هذا الأسلوب نجاحاً نادراً، جعل رئيس
الجندرمة يحلم بترقية، وقد تبخّرت خلال فرحته
بالأسلوب الجديد بقايا الطيبة في قلبه، حتى غدا مثلاً

أعلى في القسوة، يُعذَّب الأبرياء بلا رحمة، ويسمئهم:
عصاةً أو مذنبين أو خونة! والحقُّ أن كلمة: دبس
غيَّرت مذاقها الحلو، فصار لها عند الناس طعمٌ مرٌّ
مخيف! وكرهوا الكروم، فنفسوا عن غضبهم بإهمالها
أو تقيع دواليها! وقد حفظوا إيقاعَ جزمةِ رئيس
الجندرية، فكانوا يُخلون الطريقَ عند مروره.. حتى
البغالُ الشموسة صارت تقف باستعدادٍ في الحظائر!
لكنَّ أمراً كدَّرَ صفوَ الرئيس بعد مدة: من أين يأتي
بالدبس؟ هل يشتره على حسابه؟! وسرعان ما تذكَّر
مجلس البلدة، فقال:

- حقاً يجبُ إصلاح حال الزراعة. العنبُ
خاصةً، فمنه يكون الدبس. وإلى أن يتمَّ الإصلاح
فعلى كلِّ بيت في البلد أن يأتي بجرةِ دبس. هل هذا
كثيرٌ من أجل سيادة القانون؟

اسمحوا لي يا سادتي الأكارم أن أقطع سياق
حكايتي من هذه النقطة لأستأنفها من نقطة ثانية، فثمّة
شخصياتٌ أخرى لها دورٌ في حكايتنا أريد أن أصفها
لكم، هي: ذبابُ البلد.. أي نعم الذباب. هذا كان
يقاسمُ رئيسَ الجندرمة، والتحصلدار، وشيخَ الحارة
فرحهم، فولائمُ الدبس التي كثرت عندهم أغنته عن
التسول من مؤخرات البهائم، وجعلته ذباباً متحضراً،
لا يحطُّ على الزبالة إلا إذا كانت دسمة! وحيثما سار
أولئك رافقهم جيشُ الذباب كبساطٍ طائر طمعاً في
وليمة!

من الولايم التي يذكرها الذبابُ بكل خير
الوليمةُ الأخيرة المقامةُ على جسد معلم المدرسة
الوحيدة في البلد: مصَّ الذبابُ الدبس، فأمرَ رئيسُ
الجندرمة بدهن المعلم مرةً ثانية إكراماً للمعلم! نظر
الناس إلى المعلم جابر، وتهامسوا:

- ما ذنبه؟

- حكى على مجلس البلدة، قال عن قراراته:

اسمعُ تفرح جرّبُ تحزن، وتجراً، فانتقد تعذيبَ
الأبرياء الذي زاد عن الحد..!

وكي لا يكون رئيس الجندرمة مجرد مقلدٍ

لشيخ الحارة في طريقته، صاح:

- اكبسوا قلمَ جابر في قفاه.

قال الناس في قلوبهم:

- لا ينقذنا من هذه الفظاعة إلا الوالي. غالباً

هو لا يدري.

سُمِعَ صهيلُ خيلِ ذاتِ نهارٍ وصراخُ حرسٍ

على المارة لإخلاء الطريق، ثمَّ ظهرتُ عربيةُ الوالي

ذاتُ الغطاءِ المخملي، أمرَ الوالي سائسَ عربته

بالوقوف، استدعى رئيسَ الجندرية، ولمّا حكى له
كلّ شيءٍ تأرجحت العربّة المخملية من قهقهاته!
خاصّةً لكبسِ القلم في القفا! لم ينسَ أيضاً أن يكافئ
رئيسَ الجندرية، فقرر منحه رتبةً أعلى، كما وعده
ببذلِ أقصى الجهود لتطوير زراعة العنب لتأمين
الدبس! واستورد الطريقة إلى قصره!

في الليل قرّر رئيسُ الجندرية أن يظّل المعلم
جابر عارياً مربوطاً إلى عمود حتى الصباح! وكانت
البلدة قد بلغت أسوأ حال، فقد فتك بها داءان الفقر،
والتعذيب! اقترب شحاذ عابر من المعلم جابر،
فوجده ملطّخاً بالدبس، رأسه واقع على صدره!
همس الشحاذ:

- جابريا (أخونا)!

سمعَ أئيناً غامضاً! هزَّه من كتفه، فعلقتُ يده

ببقايا الدبس، قرقر بطنه، قال:

- آخ.. يلعن الجوع!

مشى خطوات، وفجأةً سحبَ من كيسه

المعلِّقِ تحتَ إبطه كسرةَ خبز، عاد، غَمَسَهَا بالدبس،

ودسَّها في فمه، وهو يغمغم:

- لا تواخذنا يا معلم جابر.

شهقَ قلبُ الليل وهو يرى ما حدث، توقفت

الكلابُ عن النباح، وسالتُ على وجه الدنيا قطراتٌ

ساخنة.. ساخنة.

*

المزمارُ العملاق

لسابع.. ثامنٍ مرةٍ يرشّح (محفوظ هبّ
الريح) نفسهُ لرئاسةِ مصلحةِ الزمّارين الوطنيه،
ويحظى بذلك المركز!

العيونُ ناعسة، الآذانُ نصف مغلقة، والخطيبُ

يتحدث عنه:

- بذلَ حَبَّاتِ العرقِ لتأمينِ حياةٍ لائقةٍ لكلِّ
زمّار.. حتى صار الزمّار نجمَ حياتنا.. وجهَ بلدنا
المشرق! فضلاً عن ذلك حقّقَ الوحدةَ الوطنيه بين
مصلحتنا ومصلحةِ الطبول الشعبية، ومع هذين وجدنا
إقبالاً من شاباتنا على الرقص الفلكلوي والحديثِ
أيضاً! فعَمَّ الفرح.. صارت القلوب دبساً وطحينة!
ماذا تريدون أكثرَ من ذلك؟!

ثمَّ وقف (هبُّ الريح) فجأةً ومعهُ زمائرٌ

عملاق لم يروا له مثيلاً من قبل! هتف الخطيب:

- مَنْ كان قادراً على منافسته، فليتنفصل!



قلمٌ أحمر

تخطُّ العصافيرُ على أصابعه عندما يكتب

للحبيبة.

تخطُّ الفراشاتُ عليها عندما يكتب للطفولة.

يُغلّفها البارود عندما يكتب عن العدو.

تنقلب إلى سياط عندما يكتب عن الظلم.

لذا وجَّهوا لأصابعه دوريةً يقودها قلمٌ أحمر،

وسكيناً مكتوباً عليها: أنا بانتظارك.



العريضة المستديرة⁽¹⁾

من بلدة (أم العصافير) خرجت هذه
الأصوات: آه.. آخ.. دخيلك يا رب!
مع الأصوات كثر إمساك البطن والركض إلى
بيت الخلاء!

وجوه نضرة كالورد ذبلت، كأن مكنسة مرّت
فوقها، فأخذت منها العافية!

قلوب بالمئات تغيرت دقائقها من التكتكة
الناعمة إلى ضربات سريعة عنيفة يليها توقف كامل!
كثرت على الشفاه البسملة والحوقلة، كثرت
أيضاً على البطون والرؤوس الأربطة لتخفيف الوجع
من غير فائدة!

(1) العريضة: ورقة يُكتب عليها طلب معين، وتكون الورقة مستطيلة
في العادة.

باختصار.. هجمتُ على (أم العصافير)
أمراض لها أول وليس لها آخر: كوليرا، سل، طاعون،
داء النقطة، فالج، ومن ذلك تشكَّلت حكاية نسجها
مغزُّ الحكايات، وها أنا أحكيها لكم..

كانت (أم العصافير) يومئذ واقعةً تحت
الاحتلال الفرنسي ثقيلِ الظلِّ، وأمام حالتها المؤسفة
اجتمعت لمةٌ من الرجال، هم من أصحاب النخوة
البسطاء، قال أحدهم:

- المسألة لا تحتاج إلى ذكاء.. علينا يا شباب
أن نبني مشفى لبلدنا، ولو من لحم أكتافنا ولحوم
أبنائنا.

شعشت الوجوه، فهتفت: مشفى نعم مشفى،
بعدها أسرع الألسنة تبارك وتؤيد:

- المشفى سيخفف الضغطَ عن توابتنا التي
تروح وتأتي على طريق المقبرة كموك الحائك!

- المشفى سيساعد في قهر المرض الذي
وضع يدهُ في يد المستعمر، وصار الاثنان ضدنا!

- المشفى سينزل برداً وسلاماً على حميرنا
وبغالنا.. تلك التي فنيَتْ ظهورها في نقل المرضى إلى
مشفى المدينة البعيدة.

صمتوا لحظة، نفخَ صاحبُ مشروع المشفى
دخانَ سيجارة اللفّ من تحت شاربين جعلهما الزمانُ
خليطاً من الأبيض والأسود، ثمَّ قال:

- أول ما نفعله يا أهل الخير أن نكتبَ عريضة
يوقّع عليها وجهاء البلدة، ثم يرفعونها إلى الحكومة
الوطنية لترفعها هذه إلى حكومة الاحتلال.

انتشرَ خبر المشفى، وفرح الناس كثيراً في (أم
العصافير):

رجل منهم قفز إلى الحظيرة، وذبحَ خمساً من
دجاجاته، وركض يُوزعها على الفقراء شكراً لله.

أطلقتِ امرأةٌ ثلاثَ زغردات فوق رأس
زوجها المريض، وقالت:

- أبشر يا أبا سعاد.. سينون المشفى قريباً،
ونأخذك إليه، فترجع مثل الحصان.

شاب مصاب بالسل ابتسم في ساعة
الاحتضار، وأوصى أمه أن تُزكِّي عن روحه، بأن
تذهب إلى المشفى عندما يتم بناؤه، لتشارك في
تنظيف البلاط وتلميعه كلَّ أسبوع مرة.

بخط جميل كانت العريضة مكتوبةً في اليوم
التالي، حروفها السوداء تبتسم وتضحك وتكاد
ترقص، لأنها ستساهم في التخلص من المرض.
سارت العريضة نحو بيوت الوجهاء، دخلت
إليها لتحصل على توقيعاتهم، فوجدت أمامها مفاجأة
كبيرة..

ألقي حمدي آغا السمين جداً كالثور نظرةً
على العريضة، فقذفها من يده قائلاً:

- تضعون اسم يوسف آغا قبل اسمي
وتريدونني أن أوقع؟! قبلي أنا! هذه كبيرة.. كبيرة
جداً! ألا تعرفون أن هذا الصعلوك آغاويته مزيفة؟!
وهو يستغل مناسبات كهذه ليضع نفسه قبل أسياده.
أليس هو من رتب الأسماء بهذا الشكل؟ ستقولون

لي: أبداً.. أبداً، لكنني واثق أنه هو، رائحته العفنة بين
السطور.

ثم كظم غيظه قليلاً، وأضاف:

- مشروع المشفى على العين والرأس،
ولكنني لن أسمح لهذا الفأر أن يلعب بي.
عزيز بيك الأحلس الأملس كالحية التقط
العريضة، بأسها ووضعها على رأسه، قال بصوت من
حرير:

- مشفى؟! يا سلام! يعلم الله كأن فكرتكم
خرجت من رأسي، فأنا أفكر في هذا الأمر منذ وقت
طويل، ولكن اعدروني أرجوكم، فإذا وقعت بعد
يوسف وحمدي آغا كيف أستطيع الخلاص من
عشيرتي؟! هؤلاء عقولهم صغيرة، وسيقولون: جعلت
رؤوسنا في التراب!

عبد الباري ابن الأسرة ذات المكانة الدينية
والإقطاعية نهض، فصلى ركعتين امتناناً للعليّ
القدير، قال وهو يطوي السجادة: كلُّ ما لا يبدأ بالحمد
لا خيرَ فيه.

نظر إلى العريضة وحين رأى اسمَه مسبوقاً
ببعض الأسماء احمرت رقبته وانتفخت وكأنها
ستنفجر، لكنه قال بهدوء مفتعل:

- ما هذا الذي فعلتموه؟! تهينون أهل الخير
والصلاح! صحيح أنني من أجل بلدي مستعد للتوقيع
على ذيل الحمار، لكن المرضي أنفسهم إذا لم يكن
توقيعي الأول، فسيرفضون الدخول إلى المشفى. ما
الفائدة أن نبنيه، وننفق الأموال، ثم يبقى فارغاً؟!

بدل أصحاب العريضة ترتيب الأسماء أكثر
من مرة، لكن ذلك لم يُرضِ الوجهاء، وظلت
العريضة دائخةً على الأبواب مكسورة الخاطر!
في سهرة شتوية، وبينما كان أحد ظرفاء البلدة
يشرب النارجيلة، ويأكل التين اليابس خطرت له فكرة
تشبه قارب النجاة، وهي أن يقوم أصحاب المشروع
بتصميم عريضة مستديرة، المعروض فيها يكون
مكتوباً في الوسط، ومن حوله يتفضّل السادة الوجهاء
بوضع توقعاتهم.



حفلة تعذيب

في المعتقل الصهيوني ظهر الإبداع الحضاري
في أدوات التعذيب! لكنَّ السجينَ الذي دفعوه إلى
هناك قرر أن يبقى صامداً..! خلع قلبه، ووضع مكانه
قطعة حجرٍ حتى لا يخاف! قطع حباله الصوتية حتى
لا ينبس بحرف! وعندما صعدت روحه إلى السماء
بعد حفلة تعذيب تكونت منها على شكل سحابة
ممطرة كلمة: (فلسطين).

*

كِرش وحصارة

عبد الهادي الذي يُعَيِّرُونه بضخامة كِرشه

يرقص!

نظروا إليه، كان في يده مجلة، وقد بدأ رقصه

بعد أن قرأ فيها خبراً جديداً!

الخبر: أن الانكليز - بفضل ذكائهم - نجحوا

في استخدام البطن العاري لوحة إعلان!

صاح عبد الهادي: كِرشي تعادل بطنين عاديين

أو ثلاثة، وسأجني من الإعلانات أرباحاً هائلة!

ثمّ أضاف: اللهم اجعلهم يفكرون في استثمار

أعضائنا الأخرى لإعلاناتهم!



مقبرةٌ على الخط

جَوَّالِي لَا يَتَوَقَّفُ عَنِ الرِّينِ هَذِهِ الْأَيَّامِ! وَأَنَا
دَائِخَةٌ، مُتَعَبَةٌ.

صَحِيحٌ أَنِّي مَقْبَرَةٌ، لَكِنَّ الْمَقَابِرَ تَحِبُّ
الهدوء، وتنفر من الضجيج، وإلحاح الهاتف.. تنفر
حتى من عواءِ كلبٍ عابرٍ أو نقيقِ ضفدعٍ زائرة!
آه.. ماذا أفعل؟ طلباتٌ على القبور لها أول،
ومالها آخر!

طلباتٌ تأتيني من أطرافٍ لها علاقة بالحرب
اللعيينة في سورية.. حربٍ متوحشة، مجنونة، طويلة
العمر، لم يبقَ أحدٌ في الداخل أو الخارج إلا أضاف
إلى سعيها قطعةً لهب!

بضاعةٌ واحدةٌ لدى الجميع: القتل! يوزّعونه
على الأبرياء.. قتلٌ في البيوت! قتلٌ على الطرقات!
قتلٌ من الجو! من البحر! والكُلُّ يتصل من أجل قبور!
هواتفٌ صالاتِ الأفراح، والمطاعم،
والمهريّين، وبائعاتِ الهوى، ورجالِ الشرطة، وحتى
هاتفِ الباشا الكبير لا يرن كهاتفي!

كأنَّ كلَّ الأشغال توقفت في هذا البلد، وبقي
شغلٌ واحد هو: الموت!

مزاجي في غاية السوء هذه الليلة، وسأرفض
أيّ طلباتٍ جديدة.

سأرفضها.. أرفضها.. أرفضها. هكذا..
للتحدي.

أعوذ بالله، يرن الجوّال!

إنه الصوتُ الذي أخشاه أكثرَ من الجميع..
صوتُ القيصر الروسي المتحالف مع الحكومة.
يقول:

- جهزي خمسين قبراً. عندنا قصفٌ هذه
الليلة في بلد الزيتون.

كلماتٌ كالرصاص، بعدها أغلَقَ الهاتف!
لم يعطني فرصةً لأناقشهُ.. لأقبلَ أو أرفض..
لأصرخَ في أذنه:

- ألا تستحون؟ تقطعون آلافَ الكيلومترات
من بلادكم النائبة، وتأتوننا لتقدّموا لنا خدماتِ القتل
المُستعجلة؟! كأنَّ شبابنا ونساءنا وأطفالنا احتلوا
أرضكم ذاتَ يوم، وأنتم قادمون لتصفية الحساب! ألا
يكفي بلدَ الزيتون ما يفعله هؤلاء الذين دخلوها تحت

اسم ثوار؟ لقد شاب من فعالهم الحجر، والبشر!
كأنهم بلا قلوب، كأنهم...

لا أستطيع إكمال خواطري. بدأ القصف!

أنظر في ساعة الجوّال. إنها الثانية والنصف من
ليلة الثلاثاء 2017 / 2 / 7.

جحيمٌ ينقُضُ من السماء، يصنعُ على الأرض
بحيراتٍ ناريةً هنا، وهناك، وهناك!

كطفلةٍ بريئةٍ ترتجفُ المدينةُ الصغيرة، يرتبطُ
لسانُها، تقول بعينها:

- أنا بلدُ الزيتون، زيتي وزيتوني وصلا إلى
أنحاءِ العالم، أكلَ منهما الجميع، وصارا جزءاً من
أنسجتهم، وأجسامهم، وأرواحهم. أهكذا تكافئني
الدينيا؟!

غصنُ زيتونٍ واحدٌ هو رايةُ سلام. انظري أيتها

السماء كم رايةٍ عندي من هذا النوع!

يحاول الليل أن يقي المدينةَ بجسمه الكهل،

لكنَّ عباءتَهُ السوداءَ تتمزق، ويسقطُ هو نفسهُ في آخر

الأمرِ شهيداً!

مع وصولِ طلائعِ الجثث عند الصباح تبدأ

المرحلةُ الأصعبُ عندي أنا المقبرة المسكينة، مرحلةٌ

قد لا تخطر على بال أحد، فليست المشكلةُ كلها في

تأمينِ قبورِ للقتلى الكثيرين. الجزءُ الأصعبُ من

المشكلة أنَّ القادمين ما إنَّ يستقروا في قبورهم حتى

يَخْرُجَ منهم هسيسٌ خافتٌ تصحبهُ آهاتٌ وِجَع. يأخذ

الهسيسُ في الارتفاع، ولا سيما في الليل.

كُلُّ قتيلاً أو قتيلاً يروي قصتهُ بنبرة كمانٍ

جارحة تُفتتُ الوجدان! ومن الذي يسمع؟ المقبرةُ

وحدها هي السامع، ومنها وحدها مطلوبٌ تقديمٌ
المواساة!

يقول طفلٌ ممزقٌ كقطعةِ قماشٍ مهترئ:

- أريدُ أمي ودراجتي أن تناما معي. أنا لم
أجربَ المقابرَ من قبل.

يقول عجوزٌ لم يبقَ منه إلا نصفُهُ الأعلى:

- يقولون إنهم يحاربون الإرهاب. لقد طار
نصفُ جسدي، وطارَتْ أحياءُ كاملة من المدينة،
والإرهابُ على خير ما يرام!

تقول امرأة:

- كنتُ أحملُ زجاجةَ الحليب لطفلي عندما
قتلوني! يزعمُ الروس بأنَّ عندهم تفويضاً من
حكومتنا باستخدام القوة ضدنا. معقول؟! الحكومةُ

هي أبٌ وأمٌّ للشعب، والأبُّ الذي يغري الآخرين
بضرب أطفاله ماذا يكون؟!!

تُطلقُ فتاةً صوتَ بكاءٍ طويل، تغصُّ ببكائها،
ثمَّ تمتم:

- لا أتألم لموتي. أتألم لأمي التي سقطتُ في
غيبوبة ثلاث مرات وهي تندبني! كانت تتذكَّر أنني
تلميذةٌ في الصف العاشر، وأني نجحتُ بتفوق في
الفصل الأول من السنة. ليتني لم أنجح، فربما كان
حزنها أقل، وجرحها أصغر.
آه.. آه.. آه.

سحابةٌ آهاتٍ تنطلقُ من القبور، تعلو، ثم تهوي
كحجرٍ ثقيل على صدري.. أنا المقبرة تعيسةُ الحظ
التي تتحدثُ إليكم! أجدُ نفسي أبكي، وأصرخ:

- يا ناس.. يا بشر.. يا عشاق الموت
ارحموني. باسمي وباسم جميع المقابر في هذه البلاد
نريد نقابةً تدافع عنا. نحن لنا طاقةٌ على احتمال
البلاء، وقد نَفَدَتْ.. نَفَدَتْ.. نَفَدَتْ.

*

الخاطبةُ الخضراءُ

تحت شجرة الزيتون وقفتُ (خيريّة) وفي
عينها حلمٌ جميلٌ أن يحبّها أحدٌ، ويخطبها. عند
المساء تموّج صوتها كزخّة عطر:

(يا حلوا يا قمرُ / شُبّاكك ع السهرُ / آه يا قمرُ..
آه يا قمرُ).

ارتعش قلبُ الشجرة من عذوبة الغناء، قالت: لن
تبقّي وحيدةً يا خيرية، كما أزوّج العسافير سأخطبُ
لك، وأزوّجك، ومهرُك سيكون حبةً زيتون.

قالت خيرية: حبة؟! معقول؟!

- نعم. ستين.

في موسم القطاف اجتمعت أسرة خيرية وأسرة
عمها في الحقل. الرجال على الأشجار والسّلام،
والنساء يجمعن الحَبّ من تحت الشجر. فجأةً

سقطتُ على رقبة خيرية من الخلف حبة زيتون،
كَرَجْتُ إلى تحت، ما بين ثوبها وظهرها! ارتعشتُ،
هَبَّتْ واقفة! كان ابنُ عمها (عمر) فوق السُّلَمِ
يضحك ضحكةً سُكَّرِيَّةً. قالت:

- غليظ!

نظر إلى الآخرين، فوجدهم بعيدين عنهما
قليلاً، قال:

- هذا الغليظ مغرَّمٌ بينتِ اسمها: خيرية.
اسألها ما رأيها أن تتحمَّلَ غلاظتَهُ إلى آخر العمر؟
ثمَّ أضاف وقد كسا وجهها احمراراً رائعاً:
- ليس عندهُ من المهر غيرُ الحَبَّةِ التي رماها
عليها.

لم تقل خيريةً شيئاً، لكنها غنَّتْ بعينيها: (يا
حلو يا قمرُ / شُبَّاكك ع السهر).

الشيطان متقاعداً

اعترض رجلٌ مسنٌ طريقَ الشيطان، وصاح

به:

- هيي إبليس. أنا زعلانٌ منك.. زعلانٌ جداً،
فهناك قول نبوي: ما اجتمع رجلٌ وامرأةٌ إلا كان
الشيطانُ ثالثهما! وها أنا أجمع بزوجتي بهيرة
ساعاتٍ وساعات، فلا تدخل بيننا! هل تقاعدت؟!

قال الشيطان: أليست زوجتك تلك السمينة
التي تجلس على كرسيين معاً، ويزيد نصفها إلى
الخارج؟!

- نعم.

- وأليست هي التي نبت لها شاربان بعد
تجاوزها الستين، وشعرها أحشنٌ من سيفة الجلي؟!

- نعم هي بذاتها.

- وحين تتكلم يتطاير الرذاذ من لسانها،

فيحتاج الواقف أمامها إلى استعمال واقية؟!!

- نعم يا إبليس. لقد أرهقتني بأسئلتك!

- وأنت ألم ترهقني بعتابك؟! هل تظني قليل

ذوق لأمر على بيت فيه بهيرة؟! والله لو خيروني بينها

ويين أن أسجد لآدم أو أمسح له حذاءه لاخترتُ

الثانية!



وطنٌ، وكلامٌ لا يمرُّ

(مزيج من القصة والمقامة)

فوق ألفِ ضغطٍ من الدنيا أمّ الوجه الأسود،
وعيشها الذي صار أصعبَ وأعقد، وجحشيتها
الجرباء، تلك التي يدفعها جنوباً، فتتجه شمالاً! وجدَّ
عبد الهادي نفسه أمام ضغطٍ جديد.. ضغطٍ له علاقةٌ
باللسان!

يمرُّ صباحاً أمام رجلٍ قزم، أكبرَ من البرغوث
بقليل! فإذا بالقزم ينفخ صدره المعصمص، ويتحدث
عن جولاته القتالية الظافرة، وغنائه الكثيرة الباهرة!
ويسمع صوتاً من حوله يُطريه منشداً بنبراتٍ عريضة:

يا قاتلَ الفأرتين/ وماعسَ الدودتين

قد فقتَ كلَّ عظيمٍ/ في الغرب والمشرقين

أعوذ بالله! ما هذا؟! يستعدُّ لسانُ عبد الهادي
في حلقه، سيقول له: كذاب، ومتى كانت المراحل من
صنع القمل والذباب؟! لكنه يبصر من حوله شباناً
يقومون بحمايته، عيونهم تقدح ناراً، فيهتف بلسانه
من دون أن يسمعه أحد: وراء دُرِّ، وإيَّاكَ أن تمرَّ،
فنهلك أنا وأنت!

يسير بعد ذلك، ثمَّ يقف ليدعو الله أن يصلح
الحال، ومما يقوله في دعائه: اللهم خلِّصنا من
المنافيخ، واجعل الدنيا ورداً في القلوب، وسلاماً
للجميع. فجأةً يجذبه شخصٌ له قلنسوة من كتفه،
يصيح به متجهماً الوجه: ماذا تقول؟! سلاماً للجميع!
تدعو لأعدائك بالخير؟! هل أنت أهبل؟! هؤلاء لا
يمشي معهم إلا السيف.

يستعدُّ لسانُ عبد الهادي، سيقول لصاحب
القلنسوة: يا عمَّنَا لا يكن رأسك من سردين، فأنا لا
أتحدث باسم السياسة أو الدين. أنا أحكي باسم
الإنسانية، لكنه من وراء القلنسوة وصاحبها يرى
حشداً، لهم جميعاً وجوه متجهمة كسيدهم الذي
اعترض عليه! يهتف عبد الهادي بلسانه: وراء در،
وإياك أن تمر، فنهلك أنا وأنت.

يصل عبد الهادي مُنهكاً إلى البيت، فتلاقيه
زوجته بعرسٍ خلف الباب: أمّا هو عيبٌ عليك: ما
عدت تُقبّل يدَ حماتك، بل صرتَ تنتقدها أمام حلاق
الحارة؟! تصفها ساخراً: البغلُ أطفُ منها والحمارة!
يستعدُّ لسان عبد الهادي، يشتعلُ في حلقه، سيقول
لها: أولاً حكايةُ حلاقِ الحارة ليست صحيحة، لكنني
بعبارة صريحة: لا أحبُّ أمك. إنها هضيلة، لا تحتملها
أرض، ولا قبيلة! هل الحبُّ يكون بالغضب أم تنمو

العواطف يا حلوتي بالضرب؟! لكنه يرى في يدها
مفاتيح المطبخ، فإذا قال شيئاً لا يرضيها، فلا طعام
ولا شرابٌ إلى يوم الحساب! يهتف بلسانه وراء در،
وإياك أن تمر، فنهلك أنا وأنت. هل فهمت؟ يبتسم في
الحال لزوجته، يقول لها بعينيه: أعتذر منك ومنها،
(حماتي ما في منها)!

في الليل ينأى عبد الهادي فاتحاً فمه من تعب
الأعصاب، فتسلل الكلمات من فوق لسانه تصعد في
السماء لتقف أمام ملائكة كريم، تقول: أيها الطاهر
العظيم. أرهقنا هذا الرجل، طحنا، قتلنا! فمه دوماً
مقفل، ولسانه لا يعمل! ناقشناه فيما بيننا وبينه، صحنا
به: جبنك فاق الحدود! لكنه قال: شجاعتى أمرٌ
صعبٌ.. صعبٌ في هذا الزمان.. زمان البلاء والكرب،
ففي السياسة فوق رأسي سلطان، وفي الدين سلطان،
وفي البيت سلطان! ومرة بكى قائلاً: كثيراً ما أخجل

من نفسي، لكنني بشر، والبشر في بلادنا قُصُوا
أجنتهم، وسرقوا أفئدتهم، وجعلوا فطورهم،
غداءهم، عشاءهم خوفاً بعد خوف، يقطع الحيل
والجوف! وأضاف يومئذ: إذا فتحتُ فمي فالحازوقُ
لي لا لَكُنَّ يا كلماتي.. يا حبيباتي!

انتظرت الكلماتُ جواباً من الملاك،
وما زالت في انتظارٍ بعد انتظارٍ بعد انتظار!!

*

مَشْهَد عَادِي

سألتُهُ عن سيارته الجميلة، قال:

- إنها لصديقي، لكنَّ قلبي تحت تصرفك.

قالت ببرود:

- شكراً للطفك.

وفي اليوم نفسه حصلتُ على عنوان الصَّديق!



قبل الخوزقة

أخذوه لينفذوا فيه حُكْمَ الخوزقة، كانت
وجوههم من نحاس، وعيونهم من نار! لكنَّ رئيسهم
أحبَّ أن يسخر، ويفرفش! قال مشيراً إلى الخازوق:

- لقد أعددنا لك هذا، وزيتناه ليتَّم الأمرُ
بسهولة، مع أنك لا تستحق هذه الرحمة، ألا تذكر كم
وصفتنا بأننا أعداءٌ لئام؟ واتهمتنا بأننا سرقنا طعامَ
البطون، وملأنا بالدمع العيون! وبلغ من وقاحتك
قولك: أننا أفسدنا حتى براءة العصافير، فعلمناها أن
تقف على شبايك البيوت لتقومَ بمهمات التلصص!
باختصار: أنت اخترتَ لنفسك هذا المصير، ورغم ما
سبق كلُّه نبلع الآن السكينَ على الحدين، ونعرض
عليك أن تضحكنا بأن تشرب من زجاجة تملؤها
بيولك، وأنت تقول: آه.. آه يا سلام، فإذا فعلتَ
خوزقناك بشبابك سترأ لعورتك في هذه الساحة العامة،

وإن لم، خوزقناك عارياً، وذبُ الكشف عن العورة
سيكون عليك يوم القيامة!

*

رأس القطّ المقطوع

قال القطُّ للقاضي وهو يلهث:

- سيدي أرجوك، ساعدني، أنا في خطر.

ابتسم القاضي متسائلاً:

- هل يطاردك أحد الكلاب؟

- لا يا سيدي. الكلابُ تحسنتُ علاقتي بها حمداً

للمولى.

- مَنْ وراءك إذن؟!

- عريس.

شهق القاضي:

- عريس!

- نعم يا جناب القاضي.

التقطَ القطُّ أنفاسه، وتابع:

- في قرية (جُبّ الدم) التي أعيشُ فيها كلما
أراد شابُّ أن يتزوج وشوشوهُ في ليلة الدخلة: اقطعْ
رأسَ القط من أول ليلة. وهكذا لا يدخل الشبانُ إلى
غرف نومهم إلا ومعهم قطُّ يذبونها لإخافة
عرائسهم! وفي هذا العصر زادت الحالة سوءاً،
فالصبايا تمردن على ضعفهن، فرُحْنَ هنَّ أيضاً لا
يدخلن إلى غرف النوم إلا ومعهن قطُّ يذبحنها
لإخافة عرسانهن!

*

أنا وشارع النّوم الطويل

يا أَلطاف الله!

يا أحبّابنا الملائكة!

يا ناس.. يا هووووه! اكتشفتُ مسألةً غريبة،

تضع العقل في الكف: شارعنا أو معظم من فيه نائم!

الوقت الآن في منتصف الظهيرة، والشمسُ عروسٌ

حلوة تمدُّ قميصَ ضيائها هنا وهناك، فينفذ الضوء إلى

الجان الساكنين تحت الأرض، فيوقظهم، لكنّ

شارعنا نائم!

الضجيج في الأنحاء صاعدٌ ونازلٌ تتشكّل منه

مزّيكا تؤلم الرؤوس، وتفلقها كالبطيخة، لكنّ شارعنا

نائم!

مع قرعة العربات، وأصواتِ الناس، ارتفع

صوتُ المؤذن، لكنّ شارعنا نائم!

دعكُ عينيَّ لأتأكد مما أرى، فأخبرتني عيناَيَ بعد
الدعك أن القوم نيام!
أعوذ بالله!
أعوذ بالرسل!
وبسيدنا الخضر!

الأمرُ خطير، وأحتاج إلى مَنْ يساعدني. أنا
شاب صاحبُ نخوة، وقد رأيتُ قبلَ لحظات حريقاً
في بيت الجيران المقفل! الماءُ مقطوع في بيتنا، وأهلي
كلُّهم غائبون، فلم أستطع أن أفعل شيئاً، كأنني شُرَّابة
خُرج!

رأسي يبقب كطنجرة مملوءة بشوربة العدس!
فنوم القوم يخيفني كالحريق! إنه ليس نوماً عادياً
ترتخي الرؤوس فيه فوق الوسائد، لكنه من نوع
مختلف إنه نومةُ المستيقظين! دعوني أشرح لكم
المشهد أمامي: النوم في العادة غطاءً دافئ ينزل فوق

العينين والعقل، هنا في شارعنا نزل الغطاءً على
العقول فقط، وظلت العيون مفتوحة! وظلت الألسنةُ
تتكلم! وظل باعةُ الخضار يبيعون! وظل أبو وديع
السَّمان يحلف بالطلاق على أن السمن الذي يبيعه
غير مغشوش! ورغم طلاقته المتوالية كمدافع
الحرب كان الرجل غارقاً في سباتٍ بعيد!

ركضتُ نحو المقهى، وأخبرتُ العم مصطفى
بأمر الحريق، كانت أمامه دلة قهوة، فصبَّ لي فنجاناً،
وهو يقول: قهوة ممتازة، والهال فيها كثير. أمّا كلامي
فلم يأبه به، كأن كلماتي التي حكيتها له سكتها في أذن
البلاط أو الحائط! نظرتُ إلى الفنجان المملوء، كان
السائل غريباً في داخله يشبه الشخير العجيب الذي
رأيتُه في عيون العم المذكور! أعني كأنه نومٌ مصبوبٌ
في فنجان!

غادرتُ راکضاً، في الطريق رأيتُ حائطاً تبدو
على وجهه حالةُ النومِ نفسُها، فابتعدتُ عنه بسرعة
لخشيتي من أن يقع على أمِّ رأسي!

مرت سيارةٌ يشبه وجهها وجه الحائط، وهي
تسير دائخة، فقفزتُ مبتعداً عنها برجلي قرداً!

بعد العم مصطفى وصلتُ إلى الشيخ أدهم،
وأخبرته بالأمر، كان الشخير الصادر من عينيه يرسم
أمواجاً عاليةً في الهواء، ترجمها عقلي على الفور إلى
أصوات: خوا.. خوا.. خوووو!

قال الشيخ: يا سبحان الله تخاف من حريق
صغير، ينطفئ بطاسة ماء! ومن فوقك، وحولك
صاحبُ القدرة العظمى في كل مكان. هو يطفئ اللهب
إذا أراد، ويُبقيه إذا أراد!

بعد الشيخ أدهم قابلتُ المختار، وزعيم
الحارة، وكلُّ صاحب شأن، فقال هؤلاء: إنني أبالغ،

وربما عندي رهَابُ النار مما يجعلني أخاف أن
أنشوي كالفروج والشاورما!
نظرتُ إلى ورائي كانت النار تتقدم، وكأنَّ
أحدًا لا يراها!

مررتُ برجال ونساء يأكلون في مطعم وهم نيام!
رأيتُ شبانًا يلعبون كرة القدم وهم نيام!
رأيتُ من النافذة وجه معلم يعطي التلاميذ
درسًا في صفهم، وهو نائمٌ.. نائم!

غادرتُ شارعنا إلى شارع ثانٍ وثالث في
المدينة، فوجدتُ الحالةَ نفسَها! الشيءُ المختلف هو
شخير للعيون بإيقاعات بصرية جديدة!

وجدتُ نفسي قريبًا من قصر القائمقام، وهو
أعلى سلطة في المدينة. صاح الحارس بي: قف،
وسدد بندقيته نحوي، وجه هذا يظهر عليه النوم
أيضًا! لكنه - رغم نومه - قادر على إطلاق الرصاص

والقتل! أمرني بالعودة فسيء المكان لديه اجتماع هام،
وليس عنده وقت للقاء صُعلوك مثلي! انتبهتُ إلى
ثلاثِ جثثٍ مكوَّمة على الأرض. يا حفيظ! هل يمكن
أن يكون هؤلاء سبقوني للتبليغ عن الحريق، وقَتَلَهُم
الحارس؟!!

عدتُ كالمسطول أمشي فوق درب من زهول
وضباب! قال صوتٌ هائلٌ في داخلي تردد في وديان
صدري كلمةً واحدة: لا جدوى! وكان القرار الوحيد
الذي اتخذته أن أعود إلى العم مصطفى إذا لم تكن
النار قد وصلتُ إلى مكانه، وصار في عداد
المحروقين، سأعود إليه لأشرب من فنجانه المملوء
بسائلٍ غريب يشبه شخيرَ عينيه! بل سأطلب فنجاناً
ثانياً، وثالثاً، سأكرعهما كرعاً، لعلي أرتاح.. لعلي
أرتاح.

2020 / 6 / 26

الحنكُ الذي خرجَ من مكانه

في مكانٍ فيه سهرٌ، وفرفشة، وانبساط، وנגنشة
وقَعَ ذاتَ ليلةٍ حادثٌ مشؤوم! انخَلَغَ أثناءَ حفلةٍ غنائيةٍ
حنكُ المطرب: (رامبو أبو كَيْفُ) من مكانه! صحيحٌ
أنه فنانٌ من الدرجة العاشرة، لكن.. مَنْ قال: إنَّ فنانِي
الدرجة العاشرة لا قيمةَ لهم عندنا؟! وأنَّ قلوبَ كثيرٍ
من الشبان والشابات ليست مُعبَّدةً أمامهم بالورد
والريحان! ثم إنَّ رامبو وحدهُ مسطرةٌ مميَّزةٌ في دنيا
الطرب والسلطنة، فهو منذ شهر يُغنيُّ في ملهى (شباب
ورواق). أثناءَ غنائه في أول الليل عندما يكون نشيطاً
يؤدي مقطعاً من أشهر أغانيه، وهو واقف على يديه،
وساقاه في الهواء، فلا يخرج الصوتُ من فمه فقط!
وعندما يقفز عائداً إلى وضعيته الطبيعية يستقبلونه
بهتاف ليس متاحاً لأعظم الزعماء العرب!

باختصار: وقع الحادث في آخر الليل حين كان

رامبو يصدق بأحدث أغانيه:

((هَشْتِكْ.. هَشْتِكْ / طار عقلي لما شُفْتِكْ /

بعث الدنيا بدولار / وبألف ما بعْتِكْ)).

وأضاف وصيفُ المطرب تفصيلاتٍ أخرى

عن الحادث للطبيب الذي اصطحب رامبو إليه:

- مسكين رامبو يا دكتور. والله مسكين، هل

تصدِّق أنَّ حنكَةً انخلع من أجل المجاملة؟!

تساءل الطبيب متظاهراً بالاهتمام، فحنكُ رامبو

لا يعنيه، إنما يعنيه جيبه المملوء الذي سيدفعُ بسخاء:

- معقول رامبو الفنان الذي يعيش من حنكه

يضحِّي به من أجل المجاملة! كيف حصل ذلك؟

- الظاهر يا دكتور أنك لا تعرف أجواء الملاهي.
ولم تشرفنا بزيارة إلى ملهانا العامر: شباب ورواق!
تقع هذه الحوادث عادةً بسبب مزاج النساء
المخمورات أو المائعات أخذهن الله أخذاً من على
وجه الدنيا أو قشهن مرضٌ ماله طيب ولا دواء.
النساء المذكورات يكنن بجانب أصحابهن على
الطاولات، ولا بد من إرضائهن، وخصوصاً أنهن
يُلَوِّحْنَ بالأخضر، أعني: الدولار، مَحَقَّةُ الرب. ماذا
يجري؟ تصوّر بينما رامبو يغني: ((هشتك...)) بكلّ
حرارة ترفع مثلاً واحدة اسمها: ميرفت يدها، وتطلب
منه أن يضع اسمها في الأغنية، ولطيفة قلبه يعزُّ عليه أن
يرفض طلبها، فيصدق:

((هشتك.. هشتك / طار عقلي يا ااا ميرفت

لَمَّا شفتك)).

وقد أدخل الليلة إلى أغنيته أسماء: نوسة،
وتوحة، وزيزي، وميزي.. لكنَّ الحادث المشؤوم
وقع عندما ألحَّت امرأة لها اسمٌ غريب هو: (هاجدة
الْبَعْبُولَة) أن يُغنيَّ رامبو اسمَها. كان المسكين قد تَعَبَ
من غناء الأسماء الكثيرة، وعليه - رغم ذلك - أن
يرفع درجةً صوته ليُطربَ الحاضرين الذين صاروا
نائمين أو نصفَ نائمين عند الساعة الثالثة ليلاً! فتح
فمهُ إلى حدوده القصوى بكلمة: (هاااجدة)، ونجح -
لحسن الحظ - في غناء الاسم أول مرة، لكنَّ صاحبتَهُ
ألحَّت عليه أن يُغنيَّ اسمَها كاملاً، فزَعق: (هاجداااا..
بعبووولاااه) فإذا بالحنك يخرج من مكانه!

أثناء الحديث الدائر بين الطيب والوصيف
كان رامبو يردُّ كتابةً من خلال الوتس على
(المَسْجَات) التي لاحقته للاطمئنان على صحة
حنكه! بينما كان نهرٌ من اللعاب يسيل من فمه

المفتوح، فيقومُ وصيفه بمسحه مستعملاً منشفةً كبيرةً
أصغرَ من منشفة الحمّام بقليل!

أدخلَ الطبيبُ إصبعيه في فم رامبو من الجانبين،
وضغطَ إلى الأسفل والوراء، فعاد الحنك إلى مكانه،
صاح الوصيف: الله أكبر! في حين سالت دموعُ الفرح
من عيني رامبو لرجوع العافية إليه، وقبل أن يغادر
العيادة أوصاه الطبيب بأن لا يفتح فمه كثيراً عند الغناء
مهما كانت الأسباب، وردّ رامبو ويده على حنكه،
وكانه لا يصدّق عودته إلى مكانه:

- التوبة يا دكتور التوبة. أقسمُ بنفي وبحنجرّة
الكروان التي أملكها لن يتكرر ما حصل.

بعد شهور التقى الطبيب برامبو عند مدخل مبنى
البريد، كان وراءه ومن حوله حشدٌ من المعجبين

والمعجبات، كأنهم بساطٌ ملون أو مرقعٌ يسير معه!
سأله عن صحة حنكه، فإذا به يجيب ضاحكاً:

- هو ووهو.. إنه مازال ينخلع كلَّ أسبوع مرةً أو
مرتين على الأقل يا دكتور، لكنَّ وصيفي لقطَّ الصنعةَ
منك، فصار يُعيدُه لي بكلِّ سهولة، يُدخِلُ إصبعيه في
فمي من الجانبين، ويضغط إلى الأسفل والوراء.
أليس كذلك؟



مسابقةُ المذيعين

أعلنتُ عنها فضائيةٌ عربيةٌ تؤمن بالزعيق في
وجه المُشاهد ليصدّق ما تقول!

شروط الاشتراك: لسانٌ طويل - نبرةٌ صوت
رعديّة - ثقافة.. مَقافة لا يهم.

بعد إعلان النتائج قام شابٌّ من الناجحين
باستعراض مواهبه أمام الجمهور..

زَعَقَ، فاخترقَ جدارَ الصوت، وحطّمَ بزعيقه
مزهريّةً على الطاولة!

أخرجَ لسانه، ولحسَ به سقفَ الاستديو!

أسندهُ على البلاط، ووقف عليه!

عقدَهُ على شكل ربطة عنق!

ثمَّ نفخَ ، فتطايرت من فوق اللسان رشقةُ
رذاذ، أنامت الجمهور، بينما بقي الشاب وحيداً،
يصفق لنفسه، ويرفع يديه كزعيم!



المعلمُ بالمعلم

خلال معركةٍ عشائريةٍ بين قريتي (حاصودة)
و(عانودة) في بلدٍ عربيٍّ شديد التخلّف قُتِلَ معلّمُ
المدرسة (بكري) العامل في القرية الأولى.

اجتمعَ الحواعدة، وعبروا عن غضبهم،
فالمعلم لا ذنبَ له، وهو قادمٌ من دولةٍ عربيةٍ إفريقيةٍ
لتعليم أولادهم!

ارتفعت أصواتهم: سنجعله يرتاح في قبره،
سنقتل للمجرمين في (عانودة) معلّمهم، ولحسن
الحظ أنه قادمٌ أيضاً من نفس الدولة العربية التي أتى
منها معلمنا!



لا أعصي لك حزناً

كم أنا خجولٌ يا صاحبَ الملكوت حين
أقول: إنني غيرُ راضٍ على ما حدث لها، أعني:
زوجتي أو توأمَ روحي!

أنتَ تعلم أنَّ كلَّ ما نزلَ بي من المصائب
طوالَ حياتي التي قاربت السبعين كنتُ أتقبَّله برضى،
وأتقبَّل الحزنَ الذي يأتي منه، فأنا لم أعصِ لك حزناً
قط، لكنَّ ما جرى لزوجتي الحبيبة لا يستطيع أن يمرَّ
من منطقة الرضا في قلبي، وخصوصاً احتضارها
المريع الفظيع!

أصيبتُ رفيقهُ العمر بالسرطان، وكانت
إصابتهُ في لحظةٍ حرجةٍ مكتظة بالأهوال، فقد سبق
ذلك ثلاثُ مصائبَ كبرى نزلتُ على رؤوسنا: غادرنا

بلدنا الغالي مُجَبَّرين، وذلك بسبب المَسْلخ السوري⁽¹⁾
الذي ترعاه قذاراتُ العالم مجتمعةً، خسرنا رواتبنا،
وهي مصدرُ رزقنا الوحيد، قُتِلَ أخي في عمليةٍ
غامضة، ولم نتمكن من الحصول حتى على جثته!

لن أتحدث عن مرضها الذي رافقته تفاصيلُ
وحشية، سأكتفي بالحديث عن احتضارها:

احتضارُ المرضى الواقفينَ على حافةِ الفناء
يكون في الأغلب نصفَ ساعة أو ساعة، لكن.. ماذا
نقول عن احتضارِ دامَ عشرَ ساعاتٍ؟! إِنَّ تفاصيلَ
الساعات العشرِ محفورةٌ في روحي بخطوط تشبه
الكَيِّ بالنار، أسترجعُ ما وقع فيها للغالية شهقةً شقها،
وارتجافةً بعد ارتجافة، وشحوباً يليه شحوبٌ أفضعُ
منه وألعن!

(1) المقصود: هو الحرب الداخلية في سوريا التي بدأت عام
2011، وكانت قد سبقتها مظاهرات سلمية.

بدأ احتضارها في الساعة الثامنة مساءً، وكانت
في قسم المراقبة في المستشفى.. قسمٌ أدنى من العناية
المشدّدة بقليل، همسَ لي الممرض بعد أن نظرَ إلى
الأجهزة:

- إذا كان هناك من يحبُّ رؤيتها، فأرسلوا في
طلبه، أظنها لن تتأخر حتى الصباح!

أمسكني الكلامُ من رقبتني كقبضةٍ وحشية،
صحيحٌ أنها في الأشهر الأخيرة دخلتُ في حالةٍ من
التدهور المتسارع حتى صار غذاؤها من السيروم،
وتنفّسها من أنبوبة الأوكسجين، غيرَ أنني لم أكن
أتوقع أنها ستغادرنا بهذه السرعة! بل هناك صوتٌ
هائلٌ في داخلي يصرخ: لن أسمح للموت أن يصلَ
إليها، سأكسر يدهُ، وأعلّقها برقبته إن فعل.

توجهتُ حالاً إلى فوق: كن معنا يا مولاي.
أنتَ أكبرُ من الأجهزة، عدني أن تحفظها لي، فأنا لا
أستطيع العيشَ بدونها، شربةُ الماء لا تنزل في حلقي
إذا لم أنظر في عينيها. أنتَ ربطتَ قلوبنا بعقدة الحب،
جعلتَهما كغصنين أخوين في شجرة، أنتَ...

كرر الممرضُ كلمةً بعد نصف ساعة! كان
مؤشر تخطيط القلب، ومؤشر الضغط يعطيان على
الشاشة فوق رأسها معلوماتٍ غير مريحة!

اتصلتُ بابنتي، فجاءت هي وزوجها، وقد
كانت بجانبها حتى العصر، لكنها غادرت لتقضي
حوائج أولادها، كذلك جاء ابنتنا الأصغر.

الوضع يزداد سوءاً! الوضع يتدهور! صرتُ
أنا أتابع البيانات في الشاشة الحديثة، وفيها يظهر كلُّ

شيء. جاء الطبيب، وهزَّ برأسه، كأنه يقول: لا
جدوى!

اقتربتُ منها، طبعْتُ على جبينها قبلةً من
دعاء، من دمع! قبلةً، لا يمكن شرحُ مكوناتها العاليةِ
الرہافة، العاليةِ الأسي، فهي عصيةٌ على العقل
والكلمات! مدَّت يدها، فأنضتُها، فظَلَّت ممسكةً
بيدي، وأسندتُ رأسها على صدري، كأنما يطيب لها
أن تغادر الدنيا وهي تلامسني!

عدتُ إليك: مولاي رفقاً بهذين اليتيمين
المُهَجَّرين! لم يبقَ لهما بيت! لم يبقَ صديق! لم يبقَ
لهما إلا بعضُهما! لم يبقَ إلا كِسرةُ الحب هذه التي
تحفظهما من الفناء أو التفكيرِ في الانتحار!

داهمها سعالٌ حاد، أخذ يرتفع حتى انفتحت
الأبواب في الغرف المجاورة! كان واضحاً أنَّ

السرطان القدر نجح في السيطرة على قصبته الهوائية!
ولم يعد هناك ممرٌ صغيرٌ لخيطِ هواءٍ يصل إلى رتئتها!
صرخ كياني كلُّه: تعالوا خذوا قصبتي الهوائية،
وقدموها لها لتتنفس، حياتها أهمُّ من حياتي. نحن
جزيةٌ غرامي مؤلف من ذرتين، وذرتُها أجملُ من
ذرتي، وأنقى!

جاء الطبيب ورئسُ الممرضين ومساعدون
آخرون حاولوا تقديم المساعدة، كانوا يُدخلون
خرطومًا رقيقًا تارةً في فتحة أنفها، وتارةً في فمها،
لعلهم يفتحون ثغرةً في قصبته الصدرية تسمح بمرور
الهواء، لكنَّ ذلك كان قليل الجدوى! رفعتُ رأسها لا
إرادياً إلى الأعلى، حتى كاد الرأسُ يلامس ظهرها أو
يسقط فوقه، كان جلياً أنها تناضل من أجل قطراتٍ
من الهواء، والسرطان من ناحيته يتابع هجومه

الكاسح! قلتُ لنفسي: هي عمليةُ شنيقٍ داخلي، لم ينته
في لحظةٍ أو لحظتين، لكنه استمر عدةَ ساعات! كان
الموتُ خلالها يستعرضُ عضلاتِهِ، وجبروتَهُ، وفنونهُ،
ومقدرتهُ على إلحاقِ الهزيمة بالجميع!

همدتُ تماماً في الساعة السادسة إلا عشرَ
دقائق صباحاً، أغضبتني كثيراً في تلك اللحظة برودةُ
الأشياء ولا مبالاتها في المستشفى، أغضبتني زرقةُ
الصباح التي لاحت من النافذة! تطايرتُ من روحي
كلماتٌ قاسية طالتِ الكونَ كلَّهُ وما فوقه، وما تحته،
نبتَ لقلبي يدان لطمَ بهما فوقَ شرايينه، ولطمَ، ولطمَ.
كما قلتُ في البداية:

- يا صاحبَ الملكوت لم يستطع احتضارها
الفضيع أن يمرَّ من منطقة الرضا في نفسي، مازالت ليلتهُ
الهائلة تسكن في كلِّ خلية من جسدي! ساعدني على

بلوغ الرضا، ساعدني.. ساعدني، فأنت خلقت
رهافتي، وأعطيتني قلباً يحبُّ بجنون أو بما فوق
الجنون!



طيرانُ الليرة

تدحرجتِ الليرةُ أمامَ حمُود الجائع، تراقصَ
بريقها في خياله رغيفاً مقمَّراً، مدَّ يده ليمسكها، فنبتَ
لها جناحان و.. طارت!

طاردها، وهو يصيح:

- لن تفلتي مني. أنتِ ثمنُ خبزتي لهذا اليوم. لقد
أخذ الأغنياءُ المئاتِ والألوفَ، ولم يبق للفقراءِ إلا
الليلرات!

في حي (النوافير) المخصص لكبار الأغنياء
والسادة، كاد يقبض عليها، لكنها انزلقتُ من بين
أصابعه فجأةً، ودخلتُ في جيب رجل يلبس الحرير!
قال الرجل بنبرة المتتصر:

- يا منحوس، يا نسل التيوس.. لماذا تتعب
نفسك؟! ألا تعرف أن كل شيء صار لنا في هذه
الأيام.. المئات والليرات وحتى القروش؟!

وبينما كان حمود مذهولاً أضاف الرجل:

- حتى الحصير في قولكم: أفلسنا صرنا على
الحصير سنأخذه أيضاً، فهو من القش، ومن القش
يمكن أن نصنع فراشي لتنظيف أحذيتنا.

*

دكانُ الأَقنعةِ

مشكلته رهافته الزائدة!

القلقُ يعسكر في أعصابه، يلذعُ صدره، يحرمهُ

النوم!

نصحهُ الطبيب أن يستعملَ قناعاً لمخلوقٍ
غبيٍّ أو باردِ الدم، ومنذ اليوم الأول لاستعمال القناع
عليه أن يعملَ على نسيانِ ملامحه، والتماهي تدريجياً
بالملاح الجديدة.

دخلَ دكانَ الأَقنعةِ، وقف حائراً أمامَ أقنعةِ
لحمار، بقرة، سلحفاة، ولمّا أخبرَ البائعَ بمشكلته،
ضحك، وناولهُ قناعاً لم يخطر له على بال! اختيار
البائع كان قناعَ مسؤولٍ عربي! ما كاد يستعمله حتى
حدثت المعجزة! ارتاحتُ أعصابه، اكتنز لحمًا
وشحمًا، بدّل ملبسه، فضاقتُ! بدّلها، فضاقتُ مرةً

أخرى! لم يعد يقوم بغير أفعالٍ ثلاثة: يأكل، يخطب،
ينام! نومُهُ مصحوبٌ بشخيرٍ هانئ، لو اصطدم كوكبٌ
بسريره لما أفاق!



أنا والمهرجان

شتموني بعيونهم:

(متخاذل)

(خائن)

(عديمُ الوطنية).

كانوا يقيمون مهرجاناً لبقرتهم المقدَّسة
يتمسحون بها وبذيلها، وأنا واقفٌ لا أشارك في
الشعائر! شتائمهم شطرتني نصفين: نصفٌ يفكر في
الخطر الذي ينتظرني بعد نهاية المهرجان، ونصفٌ
يرقص كمجنون، ويهتف: لن أعبد البقر. أنا متمسكٌ
بمعصيتي، سأعزفها أنغاماً على شبَّابة الروح!

*

رائحة الجنان

متوكتاً كان على ذراع ابنه عندما ناديتُهُ:

- أستاذ سعيد.

التفتَ نحوي، وعلى فمه لؤلؤة ابتسامه، قال:

- صوتك ليس غريباً، مَنْ أنت؟

انشغلتُ لحظةً بتأمل خريطة التجاعيد التي

تركتها الأيام على وجهه، وعينيه اللتين ذهب نورهما،

فتأخرتُ في الرد:

- أنا محمود. تلميذك محمود.

شعَّت على فمه لؤلؤة ابتسامهٍ أخرى، ودونَ

أن يتكلم شعرتُ أنه يطلب مني مزيداً من التوضيح.

فقلت:

- قبل ثلاثين سنة كان عندك في مدرسة (أبي تمام) تلميذٌ شقيّ اعتدت أن تناديه: (محمود النطّاط)! لم يكن يدخل إلى الصف إلا من النافذة.. لم يكن يمسخ السبورة إلا هو مستعملاً نطّاته! وقد وضعت مرة شحمة أذنه بين إصبعيك، ضغطت عليها ضغطة خفيفة، وقلت: يا محمود يا نطّاط، يا مجنون أنت ذكي، ولكنني أخشى أن تُضَيِّعَ مستقبلك بالولادة. نطنط قليلاً يا ولد، وادرس كثيراً. هاه.. أنا هو. هل تذكّرتني؟

لم يتسم الأستاذ سعيد، ظننت أنه لم يتذكّر شيئاً! لكنّ خيط الدمع المتسلل على خده أخبرني أنه يبكي من شدة التأثر، وفوجئتُ بذراعه الطليقة تتحرك في الهواء، تبحث عني بلهفة، فاندفعتُ نحوه، رميتُ رأسي على صدره، وأنا أشمُّ من هناك رائحة الجنان!

كِرْشٌ تَدَافِعُ عَنْ نَفْسِهَا

أمامَ انتقاداتِ الزوجة والأصدقاء لبدانته
المفرطة توَكَّلَ عبد الكريم على العليِّ القدير، وقرر أن
يبدأ بممارسة الحركات الرياضية. رأسه الأصلع مألَّ
إلى الأمام مع ثلاثِ هزاتٍ قامت بها رقبته معلناً
موافقته على الأمر، لكنَّ مشكلَةً غيرَ متوقعة بدأت بينه
وبين كرشه! فما كادت الكرشُ المحترمة تسمعُ
بالخبر حتى اضطربت اضطراباً شديداً، وشعرتُ بأنها
مهَّددة. معقول؟ سيزيلها عبد الكريم من الوجود! هي
إمبراطورية من اللحم، والشحم بُنيت بلحوم
الخراف، وصدورِ الفراريج، والكبب، والمحاشي،
ولا يجوز للإمبراطوريات أن تسقط من دون أن تدافع
عن نفسها.

قال عبد الكريم: غداً سأشتري بيجاما رياضية،
وسأبدأ بعد غدٍ بممارسة حركات الرشاقة منذ
الصباح. سأقفز، وأنط وأنا أترنم: (واحد، اثنان..
واحد، اثنان).

همستُ كرشه: كم أنت عجول يا عبد الكريم!
ألا تعرف أن بيجامات الرياضة دخلَ إليها الغش
بصورة مرعبة في هذه الأيام؟! ومن الغلط التسرع في
الشراء. هل نسيت أنك موظفٌ صغيرٌ ودخلك على
قَدّه، وستدفع مبلغاً ضخماً في بيجاما ستتمزق سريعاً
أو يتغير لونها، فيتبهدل من يلبسها؟!

فكَّر عبد الكريم، ثمَّ قال:

- اسمعي يا سيدتي الكرش.. لن أشتري
البيجاما من أول محلٍ أدخل إليه سأتجوّل كالنسوة في

طول السوق وعرضها، سأزور المحلات دكاناً
دكاناً، وبعد المعاينة أختار الأفضل.

ردَّت الكرش: تظن نفسك فهيمًا ما شاء الله؟!
ألا تدري أنه لا خبرة لك في هذا النوع من الألبسة،
وقد تختار الأسوأ، ولو تجولت في السوق سنةً
كاملة؟!!

وضع عبد الكريم يدهُ على خده حائرًا قبل أن
يقول:

- طيب. كرشي يا كروشتي خطرت لي فكرة:
سأصطحب معي جارنا يوسف، هذا بطلٌ معروف في
كرة السلة، ولديه خبرة في البيجانات، وفي كل الألبسة
الرياضية.

ردَّت الكرش بفرح حرصتُ على ألا يظهر في
نبرتها:

- لكنَّ يوسفَ مسافرٌ.. مسافرٍ يا عبدَ الكَريمِ،
عنده بطولة كبيرة، ولن يعودَ قبلَ أسبوعين.

نفخَ الرجلُ عندئذٍ مغممغماً:

- أمري لله. أنتظر أسبوعين.

وحين جاء يوسف قام عبد الكَريم متحمساً
ليذهبَ إليه، فإذا بكرشه تقول له:

- إلى أين؟! خذ علماً حضرتك أن جارنا عاد
فائزاً من البطولة، وعليك يا روح الروح حين الذهاب
إليه أن تصطحبَ معك هديةً كبيرة.. أسمعت: هدية
كبيرة؟

ثم أضافت بخبث وكأنها ترثي لحاله:

- أهل الرياضة يا مسكين هو هووه صاروا
اليوم نجومًا في مجتمعنا.. أعظمَ من النجوم، وما

أصعبَ الاقترابَ منهم! أنصحك يا عزيزي كي لا
تخسرَ مالاَ في الهدايا وبلاويها أن تؤجل الموضوع
شهرًا أو شهرين ريثما ينسى الرجل حكاية فوزه!

بعد شهرين جرى ما لم يكن في الحسبان:
استعذبَ عبد الكريم مبرراتِ كرشه، فعندما رجعتُ
زوجته لانتقاد بدانته، همس للكرش قائلاً:

- أرجوكِ ساعديني ماذا أقول لها؟

- قل لها: إذا نحفَ الرجل تذكَّرَ شبابَهُ، وفكَّرَ
في الزواج من امرأة أخرى.

في عام 3050 بعد الميلاد انتقد البابُ بدانَةَ
عبد الكريم التي زادت بصورة مخيفة، حتى إنَّ الباب
صار يتضايقُ منه حين يمر، ويخاف على سلامة
أخشابِهِ! ردَّ عبد الكريم وقد تعلَّم الخبثَ من كرشه:

- هأهأ. ملاحظتك في محلها يا بابنا العزيز،
وأنا ما زلتُ مصممًا على ممارسة الحركات
الرياضية، لكن ادعُ الله معي أن يوفقني لشراء البيجاما.

*

2020 / 1 / 2

زعامةٌ لمدةٍ دقائق

حدثَ هذا الأمرَ الغريبَ ذاتَ شتاء! كنتُ
يومئذٍ في مكانٍ عامرٍ بصيحاتِ الوجعِ، والترجيِّ،
والاستغاثةِ! فرعَ مخابراتٍ؟ لا. أسوأَ بكثيرٍ! المكانُ
المقصودُ هو قسمُ السرطانِ في أحدِ المشافي! سببُ
وجودي هناكَ أنني مرافقٌ لزوجتي المصابة بهذا
المرضِ السيِّءِ السمعةِ، خلعتُ أذنيَّ عدةَ مراتٍ،
ووضعتُهما في جيبِي، لكنَّ أصواتَ الألمِ وصلتُ
إليهما حتى وهما في الجيبِ! معاناةُ زوجتي جعلتني
أتمنى لو أننا أنا وهي نقتسمُ رغيْفَ الألمِ.. نصفُهُ لها
ونصفُهُ لي، لكنني حينَ أقولُ لها ذلكَ تدمعُ عيناها،
وتقولُ بكلِّ ما بقيَ لها من قوةٍ: أبعدَ اللهُ الشرَّ عن
قلبك.

وبلغ من حنانها أنها حين علمت أول مرة
بإصابتها السرطانية المخيفة صمت حينها بحزن، ثم
قالت لابنتنا:

- الحمد لله أنني كنتُ أنا المريضةَ لا أباك. إنه
مَلول، إذا أُصِيبَ بالرشح يملأ الدنيا بالتأفف،
والشكوى!

غفوتُ في المشفى - على ما يبدو - بعد موجةٍ
من تعب الأعصاب، فرأيتُ نفسي سيداً عظيماً أو
بالغَ العظمة! طلبتُ من أعواني إحضارَ وزراء دفاع
دول العالم كلِّهم إلى أمامي، وكما ذهبَ الهدهد،
وعاد خلال طرفة عين حينما أمرته بلقيس نَفَذَ الأعوان
مشيئتي، فوجدتُ أمامي وزراء الدفاع جميعاً، قلتُ
لهم بصوتٍ أمر:

- اتبعوني.

أخذتهم إلى قسم السرطان، أريتهم الحالات
المروعة، فارتجفوا، وشحبت ألوانهم. صحتُ بهم:

- أيها القذرون أنتم وحكامُ بلادكم تبحثون
دوماً عن عدو تدفعون شعوبكم لمقاتلته، وقد
تخترعونه اختراعاً، بينما العدو الحقيقي لا تفعلون
من أجله شيئاً، بل تغضون الطرفَ عن مجرد الإشارة
إليه!

رحتُ أمشي بينهم، وأتابع:

- عدوكم الأكبر، وعدونا، وعدو البشرية
جميعاً في هذا العصر هو: السرطان.

ارتسمت على وجوههم علاماتُ التعجب،
لكنهم لم يتجرؤوا على الكلام، فواصلتُ بنبرتي
الغاضبة:

- ستقولون لي: هذا الأمر يتعلق بوزراء
الصحة، ونحن لا شأن لنا! لكنني أسألكم: ألسنتم أنتم
من تلتهمون معظم ميزانيات الدول، وتنفقونها على
صنع الأسلحة أو شرائها، فلا يبقى إلا أقل القليل
لقضايا الصحة وغيرها؟!

ثمّ زعقتُ بهم: هاتوا أو سمتكم، جمعتها،
ودستها بقدمي وأنا أهتف: هذه كلها: لا تخفف ساعة
وجع عن مريضٍ أو مريضة، ولا تمنح الجياع
المنتشرين في أرجاء المعمورة كسرة خبز! هذه عار..
عار.. عار!

ظللتُ أصرخ حتى استيقظتُ!

*

رجلٌ يهربُ من مناسبةٍ سعيدة

حدث هذا لي شخصياً لا لأيِّ شخصٍ آخر.
قالت لي الرُّزنامة ومعها وسائلُ التواصل الاجتماعي:

- اليوم عيد ميلادك.

تلَفَّتُ حولي، لعلها تقصد غيري، لكنني كنتُ
وحيداً واقفاً كعمود من ملح، فتيقنْتُ أنني المقصود.
عيدٌ وأنا؟! أعوذ بالله. أوَّلُ إجراءٍ اتخذتهُ أو اتخذتهُ
قدمايَ دونَ استشارتي هو الفرار. نعم فرّتا بي إلى أبعاد
قُرْنَةٍ في البيت! اختبأتُ هناك كما تختبئ صبيّةٌ شعناءً
غبراءٍ طرقت الزائراتُ البابَ على أمها فجأةً! تختبئ
الصبيّة، لأنه لا يليقُ بالجماليات أن يظهرن إلا في
أحلى صورة.. أي بعد تمشيَطِ الشَّعر، ورشِرةِ
العطر، وإحاطةِ الجسمِ بقماشٍ ثوبٍ هفهافٍ مُزَهَّه.

كنتُ في الوضعِ نفسِه تقريباً طَرَقَ بابَ عمري
هذا الضيفُ المسمَى: عيد الميلاد وأنا أشعثُ أغبر!
الزَّمانُ من حولي أشعثُ أغبر أيضاً! (كورونا)⁽¹⁾
الفضيع، الفستوكُ بحجمه، العملاقُ بفعله أغلَقَ علينا
الأبواب! حبيبتِي رفيقَةٌ عمري رحلتُ إلى ربها منذ
عشرة أشهر، وقد كنتُ أحتفل معها به منذ 33 سنة،
بل كانت هي تُذكّرني بعيد ميلادي مع ضحكةٍ
سُكْرِيَّة، فيبدو رائعاً كقمرٍ من لوز، شهياً كإطالاتها
الصباحيَّة، وكأنه يأتي من وجهها لا من الرُزنامة!

جلستُ في قُرنة البيت على البلاط، تسرَّبت
البرودةُ إلى جسمي، فلم أبال! كان قلبي يدقُّ بسرعة
كأنني أخاف أن يكتشفَ العيد مكاني، قَبَعَةُ الصوف
التي أغطي بها رأسي في الشتاء أنزلتُها إلى منتصف

(1) كورونا: مرض خطير انتشر في أنحاء العالم في مطلع عام 2020 ، فالزم
الناسَ بيوتهم.

وجهي حتى لا يعرفني إن دخل! فجأةً سمعتُ صوتًا
أعرفه جيدًا، وأحبه جدًا يقول لي:

- كلَّ عام وأنت بخير!

بل سمعتُ زقزقةً قبله في الهواء تطير نحوي!
كان الصوتُ صوتها، والقبلهُ منها! زاد ارتباكي، ثمَّ
مددتُ يدي إلى الجوّال في جيبي أسرعْتُ إلى قسم
الإستديو، أفتحه على صورتها، بدا لي كأنها كانت
تنتظرنِي، وبلا مقدمات قالت بعتب:

- لماذا لا تريد أن تحتفل بعيد ميلادك؟!

- أحتفل به ولستِ معي! كيف؟! كلَّ فرح من
بعدكٍ يدخل قلبي أشعر أنه خيانةٌ لكِ.. خيانةٌ عظيمةً.

ضحكتُ كعادتها قبل الكلام، قالت كأنها

تُعني:

- أيها الخائنُ الجميل، أنا متُّ ولم أمت،
رحلتُ مني غلاتي الخارجيةً فقط، أعني: جسدي،
لكنني ما زلتُ موجودةً فيك. ألا تدري أنَّ أعظمَ حياةٍ
وأعمقها أن تعيشَ في قلب؟ أن تسكنَ في دنيا الرُّوح
مع الخلجات والارتعاشات، في ذلك الفردوس
الأعظم، والملكوت الأظهر.

بعدها قالت كلاماً ساحراً جعلني أرتجفُ
كفراشة، أتفتِّحُ كزهرة ذابلة تناثر فوقها الندى! ثمَّ
جرى أمرٌ غريب أو في غاية الغرابة: غادرت الحبيبةُ
موقعها، صارت أمامي من لحم ودم، مدَّت يدها
سحبتني من قرنتي، فتحت ستارة النافذة، قالت:

- سأذهبُ لأعدِّ لك القهوة.

وقبلَ مسيرها نحو المطبخ أضافت:

- اليوم في مرقدِي كنتُ سعيدةً جداً، وقد
أخبرتُ الجميعَ في المَرَقَدِ المجاورة بأنه عيد ميلادك،
ابتهجوا، وكثيرون منهم طلبوا عنوانك، وقد تصلك
منهم بعضُ رسائل التهنئة.

وبالفعل رسائلٌ مليئةٌ بالمباركات تنهمر عليَّ
في هذا اليوم، أعرف بعضُ أصحابها، وبعضهم لا
أعرفه!

*

2020 / 3 / 27

الانسكاباتُ الشَّاعريَّةُ لرزق مرزوق

يمتاز رزق مرزوق بطلُّ هذه القصة بأنه شاعر
تمشي الرَّهافةُ في ركابه، تركيبه العضوي كأنه من ورق
الزنابق، وتويجات الورد، له عينان كبيرتان مفتوحتان
بقوة، كأنهما تريدان أن تريا العالمَ كلَّهُ دفعةً واحدة!
كان سعيداً، ولم يكن، كانت تشغله فكرةٌ ساحرةٌ
مجنونة لا يدري كيف يحققها، وهي: أن يعرفَ
الكائناتِ من داخلها! وكان يقول: نحن نرى
العصفور، ولكنَّ لا نعرف ماذا في داخله، نرى الغيمة،
ولكنَّ لا ندري ماذا في داخلها، نرى الجرادَةَ، درجَ
المبنى، قطةً جالسةً فوق جدار، وماذا في داخل هذه
الكائنات لا نعلم.

وذا صبح شعر رزق مرزوق بشعور غريب،
بدا له أن كيانهُ سائلٌ كالماء، وهو يستطيع سكبهُ في أي

كائن يحلو له، فيعيش حياته من داخلها، ويعرف عنه كل شيء! وهكذا.. بدأ يحقق رغبته التي كانت مستحيلةً أو شبه مستحيلة.

حين صار رزق مرزوق عصفوراً:

أول تجربة له أنه سكب كيانه في جسم عصفور، فوجد له منقاراً أصفر اللون، وريشاً بنيًا متناسقاً يغطي جسمه، وكان له بطنٌ مكتنز كأنه بطنٌ حمامة. وقفت بجانبه عصفورة، فقالت:

- تريدني أن أقترن بك أيها الجميل؟ هه. قبل هذا لا بدّ أن أتأكد من حبك. بلغني أنك غازلت ثلاث عصفورات غيري. هل أنتَ دون جوان العصافير؟

كان العصفور بريئاً، فقال: أخبار ملفقة، هناك من يريد التفريقَ بيننا. أوكد لكِ يا أحلى عصفورة رأيتها عيناى أننى أحبك، وأقسم على ذلك بغلاوة أمى،

وبشجرة الجوز التي وُلدتُ في عش على أحد
أغصانها.

رفضت العصفورة تصديقه، واشترطت عليه
أن يصومَ عن أكل الحَب الذي يَألفه كثيراً سبعة أيام
يكتفي خلالها بالماء لتتيقن من محبته لها. في اليوم
الخامس للصيام أنهكه الجوع، ثمَّ عجز عن الطيران في
اليوم السادس، وكاد يفارق الحياة في اليوم السابع،
وبينما كان يصبر مستعيناً بشيء ساحر يملأ خياله، هو
جمال عينيها البراقتين المحاطتين بإطار أسود
كالكحل جاءهُ خبرٌ صاعق، وقف هدهد قريباً منه،
وقال:

- مسكين أيها العصفور النبيل، عصفورتك
لعبتُ هذه اللعبة مع عصافير الغابة كلها! الجميعُ الآن

صائمون قرييون من الموت! وهي واقفةٌ بين
العصفورات تزهو بسحرها، وترنم قائلة:

- هل رأيْتُنَّ ماذا أستطيع أن أفعل؟!

حين صار رزق مرزوق نافذةً خشبية:

كانت هذه تجربته الانسكابية الثانية، سَعِدَ
لأول وهلة وهو يجد نفسه نافذةً لبيت مصنوعةً من
خشب السنديان، لها لونٌ عسليٌّ قريبٌ من لون
العيون. يقولون: النوافذ عيون المنازل. الله ما أجمل
هذا الكلام!

في السابعة صباحاً وقف وراء النافذة عزمي،
وهو أحد أفراد الأسرة، كان ينتظر وصول صديقه.
إنهما يخططان لسرقة بنك!

في الثامنة وقفت هدى تترقبُ مرورَ حبيبها
ليتبادلا عن بُعد جملة: (صباح الخير) وهو ذاهب إلى
العمل. إذا لم يمر الحبيب، فالنهار كُله لم يمر،
وسيسقط من الرزنامة! حين استندت هدى على
النافذة كانت ذراعها طريتين دافئتين، كأنَّ الحب
ليس في قلبها فقط، إنما يجتاح دورتها الدموية. أمَّا
عزمي فحين لمسَ النافذة كان متوتراً كأنَّ له ذراعين
من برق ورعد!

في الساعة الحادية عشرة اندفع نحو النافذة
رجل يلبس (كلايية) قصيرة، وله وجه ساخط، أغلقها
بعنف! رفع - بعد ذلك - ذراعيه إلى سقف الغرفة
قائلاً:

- عمَّ الفجور يا صاحبَ الملكوت. أعني
على إعادتهم لطريقك، ولو بالقوة.

في الثانية عشرة وقفت (جوجو) متلهفةً لقدوم
صديقتها (ثروت)، وهما عانسان، لديهما ميلٌ شديد
لممارسة المثلية!

في الثانية بعد الظهر هجمت الأم تريد أن
تقذف نفسها من النافذة، فقد بلغها أن أخاها الوحيد
مات دهساً في حادث سير!

تفكرت النافذة فيما رآته خلال جزء من
النهار، فشاب خشبها، قالت: أعان الله النواذ كيف
يصبرن، ولو كنَّ من خشب!

حين صار رزق مرزوق أوتاراً فوق آلة موسيقية:

ظنَّ مرزوق أن هذه ستكون تجربته الأحدى
والأمتع، لكنه حين صار أوتاراً وجدَّ صاحب الآلة
الموسيقية متوتراً للغاية! كان رجلاً نبيلاً، لكنهم
فرضوا عليه أن يعزفَ في الحفل السنوي لتتويج

الإمبراطور! إنه لا يريد ذلك، فالإمبراطور بعيدٌ عن
العدالة، زرعَ آلافَ الجراح في قلوب الناس! ذهب
صاحبُ الآلة وعزفَ، وكأنه شخص آخر، وحين عاد
هجمَ على أوتاره، وقطَّعها!

بعد ذلك سكبَ رزقَ مرزوق نفسه في قمرٍ
متلألئ، وبئرٍ ماءٍ جافةٍ حزينَةٍ لجفافها، وقصبَةٍ هوائيةٍ
لامرأةٍ مصابةٍ بالسرطان.. في أفعى، في قاطرة قديمة
مُقالاة من العمل يعلوها الغبار. معظمُ تجاربه عاد منها
برصيدٍ كبيرٍ من الألم، وهامشٍ فرحٍ صغير، لكنه لم
يندم، فالشاعر- في رأيه- قلبٌ مفتوح على خطايا
العالم، وبراءته، وجنونه.

*

2020 / 3 / 31



المؤلف

نجيب كيّالي

* الاسم الكامل: محمد

نجيب كيّالي، والده:

حسن.

* الاسم الأدبي المُختصر: (نجيب كيّالي). وبه ينشر

أعماله.

* مواليد: سوريا- إدلب 1953، يحمل شهادة

جامعية في الأدب العربي من جامعة حلب 1980

* عضو اتحاد الكتّاب العرب في سوريا منذ العام

1996

* قاص يعشق أدب الأطفال، والقصة القصيرة جداً،

ومع هذين الفنين يكتب القصة والشعر للكبار

والصغار، كما أنّ له مساهماتٍ في المقالة،
والمتابعات النقدية.

* نشرَ أعماله في عدد من الصحف والمجلات
العربية، بعضها للصغار، وبعضها للكبار، منها:
أسامة، الطليعي، سامر اللبنانية، العربي الصغير، وسام
الأردنية، المعرفة السورية، تشرين، دبي الثقافية،
الإمارات الثقافية.

* له عدد من الكتب للجيلين اللذين يكتب لهما

للکبار:

1- ميّت لا يموت - قصص قصيرة جداً عن وزارة

الثقافة في سورية 1996

2- لساني أكله القط - قصص قصيرة ساخرة عن دار

الشموس بدمشق 2001

3- قُبلة بالشماسي - قصص قصيرة جداً عن اتحاد

الكتّاب العرب 2010

4- خيوط ملوّنة- كتاب منوّعات عن دار نون4

بحلب 2011

5- بين زرقتين- قصص قصيرة جداً- دار ميسلون

2018

6- الحكايات المخبّأة في الأصابع- دار فضاءات-

الأردن 2019

للصغار:

1- الطبل المثقوب- قصص للأطفال- دمشق دار

الينابيع- بالتعاون مع اتحاد الكتّاب العرب 1991

2- أميرة السكر- قصص للأطفال- اتحاد الكتّاب

العرب 2003

3- طفل ونافورة- قصائد للأطفال- جائزة ميرا بنت
هزاع- الإمارات 2006

4- العيد والأرجوحة- قصص للأطفال- جائزة
الطيب صالح- السودان 2016

5- طفل يلهو- قصائد للأطفال- ضمن مجموعة
مشتركة، عنوانها: مرايا الشعر واللون- جائزة عبد
الحميد شومان- الأردن 2016

وله أكثر من عشرة كتبٍ أخرى جاهزة للطباعة.

* حاصل على عدد من الجوائز العربية في مجال أدب
الأطفال:

1- جائزة الشيخة ميرا بنت هزاع- الإمارات-
2006- كتاب: (طفل ونافورة)- قصائد- المركز
الثاني.

- 2- جائزة الطيّب صالح- السودان- 2016- كتاب:
(العيد والأرجوحة)- قصص- المركز الثاني.
- 3- جائزة عبد الحميد شومان- الأردن- 2016-
كتاب: (طفل يلهو)- قصائد- المركز الأول.
- 4- جائزة ناجي نعمان- لبنان- 2019- كتاب:
(شجرة رسمتها العصافير)- قصص.

*الإيميل : najib.mn1@gmail.com

قائمة الكتب الشاملة لنجيب كيّالي

(المطبوعة وغير المطبوعة)

المطبوعة:

1. الطبل المثقوب - قصص للأطفال - دار الينابيع - دمشق - بالتعاون مع اتحاد الكتّاب العرب في سوريا 1992
2. أميرة الشُّكر - قصص للأطفال - اتحاد الكتّاب العرب 2003
3. العيد والأرجوحة - قصص للأطفال - جائزة الطيّب صالح - السودان 2016
4. ميّت لا يموت - قصص قصيرة جداً - وزارة الثقافة في سوريا 1996

5. لساني أكله القط - قصص قصيرة - دار الشموس -

دمشق 2001

6. قُبلة بالشماسي - قصص قصيرة جداً - اتحاد

الكتاب العرب 2010

7. خيوط ملوّنة - الجزء الأول - كتاب منوعات - دار

نون4 - حلب 2011

8. بين زرتين - قصص قصيرة جداً - دار ميسلون

2018

9. الحكايات المخبّأة في الأصابع - قصص قصيرة -

دار فضاءات الأردن 2019

غير المطبوعة:

1. قمر مربع - قصص قصيرة جداً

2. قصص الأطفال - أهم العوامل المؤثرة في

نجاح النص - دراسة نقدية.

3. في جيب موجة - شعر وجداني.
4. خيوط ملوّنة - الجزء الثاني - كتاب منوّعات
5. لوحة رسمتها العصافير - قصص للأطفال
6. ضحكة الأميرة - قصص للأطفال
7. حكايات ماسة - قصص للأطفال
8. طفل ونافورة - مجموعة شعريّة للأطفال
9. سوريا حزينة العينين - نصوص متنوعة عن
الأزمة السورية
10. طفل يلهو - مجموعة شعريّة للأطفال
11. رقبة امرأة شقراء - نماذج من صور الحب في
أدب نجيب كيّالي
12. حديقة الكلمات - أفكار وخواطر موجزة
13. بينه وبين ثوبها الأزرق - قصص قصيرة
14. النور الضاحك - مجموعة شعريّة للأطفال
15. رجل طويل جداً - قصص للأطفال

16. لا أعصي لك حزنًا- قصص قصيرة
17. زهرة بيضاء في العينين- كتاب في الحب
الزوجي
18. وطن متوف الريش- كتاب سياسي منوع
يتناول مشكلات عربية
19. عتاب للمكنسة- قصائد ساخرة
20. جراحنا التي لم تجفّ- خواطر متنوعة
21. نغمة من وتر الأسرار- قصص قصيرة